الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المصطلح اللساني عند الجاحظ في البيان و التبيين

دراسة صوتية تطبيقة

التخصص:أدب عربي

إعداد الطالبة:

-فلاحي سهام

لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور: قدوسي نور الدين	**رئيسا**
الأستاذة الدكتورة: بلمداح شميسة	**ممتحنا**
الأستاذة الدكتورة: بن عزوز حليمة	**مشرفا (مقررا)**

العام الجامعي: 2015/2014

بِسْمِ اللَّه الرَحْمَنِ الرَحِيم

شكر

الحمد لله كثيراً و الشكر لله جزيلاً، الذي كتب لي الحياة حتى أنجز هذا العمل.

أتقدم بأخلص الشكر إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة حليمة بن عزوز التي وجهتني وأرشدتني خير توجيه وإرشاد وهدت بحثي هذا منذ أن كان بذرة إلى أن أثمر، شكراً أستاذتي الكريمة.

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين المرسلين سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أفصح المتكلمين، وأبلغ الناطقين، وعلى آله وصحبه الطيّبين الطّاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

لاشك أن التراث العربي الإسلامي القديم، ثري بأسماء راقية جليلة متواضعة طالما كان هدفها الإلمام بجوانب العلم والمعرفة، ونشر ثقافتها، ولقد تعدّدت القضايا بتعدّد هذه الشخصيات الفذّة، ومنهم أبو عثمان الشهير بالجاحظ، الذي ذاع صيته عبر الأزمان والأجيال نظرًا للمكانة التي حفل بها ولعلّ هذا راجع للقدرة العقلية التي مكنته من إنتاج هذا الكم الهائل من المؤلفات في مختلف الموضوعات، ممّا جعلته محط أنظار الباحثين والدارسين حيث قال فيه ياقوت الحموي في معجم الأدباء " جمع بين اللسان والقلم وبين الفطنة والعلم، وبين الرأي والأدب، وبين النثر والنظم، وبين الذكاء والفهم"، ومن بين القضايا التي اهتم بها الجاحظ القضايا ذات الطابع اللغوي البحت، والذي لفت انتباهي من خلال كتاب " البيان والتبيين" تلك المصطلحات اللسانية التي استعملها في متن كتابه والتي تحتاج إلى تمحيص وتدقيق في مدلولاتها، على الرغم أنه من الصعب في بعض الأحيان أن نعثر على مفهوم بعض المصطلحات المتداولة على لسان الجاحظ، إلاّ أن ذلك لم يثنّ من عزيمتهما بل زادنا ذلك حيوية وإرادة من أجل إثبات أنّ ما توصل إليه العقل العربي لم يكن بالأمر الهيّن، كما أن بعض المفاهيم لم تكن ببعيدة عن التفكير الغربي، بل وجدنا الجاحظ

في كثير من الأحيان عند تعرضه لبعض المصطلحات اللسانية، يقترب من التفكير الغربي، وكأن الفكر اللّساني الغربي إمتداد للفكر اللغوي الجاحظ في بعض مصطلحاته اللسانية.

على هذا الأساس اخترنا هذا الموضوع الذي جاء مستندا للدراسات السابقة منها النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين لمحمد الصغير بناني.

فجاء هذا البحث ليوصل خطوات التراث اللساني ، بدراسة مصطلحاته وإبرازها في حلّة أصيلة، فعنونوها بالمصطلح اللساني عند الجاحظ في البيان والتبيين دراسة صوتية تطبيقية، واختيارنا لهذا الموضوع، يكن اختيارا تلقائيا، بل عن وعي وقصد، ذلك لأنّ العطاء العلمي الذي تميّز به هذا الرجل عطاء لا متناهي، ذلك ما أهّله لكي يكون معلم العقل والأدب بلا منازع، أما مادة الكتاب فهي متجددة ومتنوعة،

وفي محاولة إلمامي بهذا الموضوع، انطلقت من عدّة تساؤلات علقت بذهني خاصة في المادة المصطلحية للكتاب فما هي إذن نظرة المحدثون للمصطلح اللساني الجاحظي؟ وماهي أهم المصطلحات الصوتية التي وظفها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين؟ وكيف ساهمت في إثراء الدرس اللساني؟

وقد اتبعنا في عملنا هذا خطة رأيناها مناسبة اشتمل على مدخل وفصلين وخاتمة، فكان المدخل معنونا باللسانين العرب والمصطلح اللساني، تطرقت فيه إلى أهمية المصطلح اللساني منذ العصور الغابرة ومدى انشغال العرب به، ووسمت الفصل الأول بالجاحظ في التراث اللساني مقسمة إياه إلى ثلاث مباحث ، المبحث الأول بعنوان الجاحظ وكتابه البيان

والتبيين، والمبحث الثاني جاء معنونا بمصطلحا البيان والتبيين من المنظور اللساني الجاحظي وتطرقنا في الفصل الثاني إلى دراسة المصطلح الصوتي البيان والتبيين ، معرّجين على مبحثين خصصنا المبحث الأول للحديث عن المصطلحات الدالة على عيوب النطق بنوعيها العيوب البيانية والعيوب اللفظية، فدراستنا التطبيقية كانت منصبّة على هذه العيوب، وختمنا ها البحث بخاتمة لخصنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها

واخترنا لهذا البحث منهجا يتلاءم مع طبيعة الموضوع ، فقد اعتمدنا في مباحث هذه الفصول منهجا تاريخا وذلك عند ذكرنا للمصطلحات التي وردت في البيان والتبيين، إضافة إلى المنهج التحليلي الذي اعتمدنا عليه في توضيح مدلولات المصطلحات، وركزنا في بحثنا على عدّة مصادر أعانتنا على التعمق في المصطلحات اللسانية، والكشف عن دلالتها لعلّ أهمها:

- ✓ البيان والتبيين للجاحظ.
- ✓ معجم الأدباء لياقوت الحموي.
- ✓ العمدة في نقد الشعر لابن رشيق القيرواني.
- ✓ معجم العين لخليل.
- ✓ مقاييس اللغة لابن فارس.

وكان من ابرز المراجع المستعملة مايلي:

- ✓ علم اللسان العربي فقه اللغة العربية عبد الكريم مجاهد.
- ✓ دراسات في اللسانيات التطبيقية لحلمي خليل.

- ✓ قضايا أساسية في علم اللسانيات لمازن الوعر.
- ✓ مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ لميشال عاصي.

وفي الأخير لا يفوتني أن أتقدّم بكامل شكري واحترامي لأستاذتي المشرفة " بن عزوز حليمة" التي رافقتني من بداية المشوار إلى منتهاه اعترافاً لما قدمته لي من نصائح في إنجاز هذا البحث المتواضع، فلها منّي التقدير وجميل الثناء والعرفان.

فلاحي سهام

يوم:2015/05/13

مـــدخـــل

اللّسانيون العرب والمصطلح اللّساني

" إذا كان نظام اللغة برأينا أشبه بنظام الكون القائم على قواعد ثابتة، ترفض الخارج عنها وتضعه في مصاف الشذوذ، وكان من خصائصه الثبوت، فإن مفردة "المصطلح" هي أشبه بالفرد في نظام هذا الكون، وهي متمثلة بمواصفاته ووظيفته، وعلى رأسها خاصية الحركة والتحول، ومن خصائص المفردة في نظام اللغة الاشتقاقية، والاجتماعية ،والدلالية"[1].

وعليه فللمصطلح دور فعال في الفكر الإنساني عامة والفكر اللغوي خاصة، إذ لا يوجد علم يتأسس بدون مصطلحات تعبر عنه وعلى هذا الأساس تطرق الكثير من العلماء والباحثين إلى موضوع تعريف المصطلح وحتى القدامى منهم, على الرغم من أنهم استعملوا لفظ الاصطلاح فقد ورد في كتاب التعريفات للشريف الجرجاني" بأنه عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وبأنه إخراج الشيء من معنى إلى آخر"[2] أما في كتاب البيان والتبيين فكذلك ذكر لفظ الاصطلاح إذ يقول الجاحظ "وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع"[3].

[1]أ.د عمّار ساسي، المصطلح في اللّسان العربي من آلية الفهم إلى آداة الصناعة ، عالم الكتب الحديث للنشر، ط1، 2009،ص18 .

[2].الشريف الجرجاني علي بن علي كتاب التعريفات ، حققه وقدّم له ووضع حواشيه وفهارسه، إبراهيم الأنباري، دار الرّيان،.ص45

[3]الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط7، 1998، ج1، ص139.

بناءا على ما تقدم يمكن القول بأن المصطلح عبارة عن كلمة يقابلها معنى محدّد في مجال من المجالات العلمية، أما إذا خصصنا بالذكر المصطلح اللساني وباعتبار اللغة مادة مكونة من أصوات فإن المصطلح اللساني هو تلك العلامة اللغوية المركبة من دال ومدلول، ولتوضيح الفكرة أكثر لابد من التمييز بين عالم اللغة وعالم الاصطلاح" فالأول ينطبق على الدال (اللفظ) وصولا إلى المعنى فهو يبحث للشكل عن معنى، أما الثاني فيتخذ على عكس هذا الاتجاه أي أننا نبحث عن المدلول عن دال أو تسمية لغوية، أي نبحث عن شكل خارجي لغوي "[1] غير أن الحديث عن المصطلح اللساني القديم، ليس بالأمر الهين بل يحتاج إلى التنقيب والتغلغل فيما تركه القدماء من زاد مصطلحي أصيل على الرغم من تعصب الكثير من الدارسين والباحثين العرب لتلك الجهود الجبّارة التي قام بها علماؤنا الأجِلّاء ومنهم من ينكرها تماما.

لكن قد أقرّ الدارسون الذين تناولوا موضوع المصطلح اللّغوي ونشأته أن المصطلح اللغوي نشأ في مرحلة مبكرة غير أنهم لم يستطيعوا تعين زمن وضع المصطلح ولا تحديد دلالته الأولى وذلك لأن المصطلح عُرف مكتوبا في زمن متأخر عن مرحلة نشوء الدرس اللغوي عند العرب؛ ونعني بذلك وروده في كتاب سيبويه 180هـ وشيوخه كالخليل(175) إذ لا بد أن تكون بعض المصطلحات قد وردت على ألسنة النحاة قبل الخليل[2].

[1] هشام خالدي،المصطلح الصوتي في اللّسان العربي الحديث، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2012، ص106-107.
[2] جعفر عبابنة، مكانة الخليل في النحو العربي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان 1984، ص157.

يتضح من هنا أن العلماء العرب القدماء قد تطرقوا إلى العديد من المصطلحات اللّسانية بدقة علمية فائقة، إلا أن واقع المصطلح اللّساني العربي القديم يشهد تعقيدا وتشابكا وتداخلا "إذ لم تخالف السبل بين الاصطلاحات العربية اختلافها في هذا العلم القديم الجديد الأصيل الدخيل المتولد نعني اللسانيات والسبب في ذلك أن هذا العلم قد حمل على كاهله كل أسباب التشتت الاصطلاحي بين العرب ثم أضاف إليها عللا ودوافع تراكمت باقتضاء نوعية المعرفة اللّغوية عامة وبمستمليات الدقة اللّسانية خاصة"[1].

وربما إشكالية المصطلح الكبرى تعود إلى طريقة صياغته، فالعلماء العرب استعملوا وسائل عدة لوضع المصطلح فهناك من اعتمد على الاشتقاق" أي أن يستخرج كلمة من كلمة وأن يكون هناك تناسب بينهما في اللفظ والمعنى"[2]. وهناك من يعربه بأن يخضعه للأبنية والموسيقى العربية، والبعض الآخر يعتمد على النحت أو يعود إلى التراث العربي من أجل إحياء مصطلحاته

، كل هذه الطرق والوسائل سلكها جميع الباحثين العرب دون استثناء؛ فقد تردد في التراث الغوي العربي عدد من المصطلحات للدلالة على دراسة اللّغة العربية أو بعض جوانبها دلراسة علمية لأن العمل الذي قام به هؤلاء العلماء كأبي الأسود الدؤلي(هـ69) وغيره وبلغ قمة النضج على يد الخليل بن أحمد الفراهدي وتلميذه سبوية كما يظهر في كتابه يعد عملا علميا يقوم على مادة لغوية وتحليل واستقراء بالإضافة إلى وضع مصطلحات ومفاهيم في

[1] عبد السلام المسدّي، قاموس اللّسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص55.
[2] محمد ظبي،وضع المصطلحات، المؤسسة العمومية الإقتصادية، شرقية الحديد والصلب، بروسيدا، ص41

التحليل اللغوي"[1] ومن بين المصطلحات التي استعملها الخليل في كتابه العين، ولا تزال لحد الآن متداولة على ألسنة علماء اللغة المحدثين مصطلح المخرج يقول الخليل" في العربية تسعة وعشرون حرفاً صحاحا لها أحياز ومخارج ومدارج"[2] لا شك أن مصطلح المخرج عند الخليل يدل على الموضع الذي يصدر منه صوت من الأصوات، واتبعه في ذلك تلميذه سبويه إذ يقول وحروف العربية ستة عشر مخرجا"[3] إلا أننا إذا ذهبنا إلى الشائع من المصطلحات في التراث العربي القديم نجد مصطلح العربية.

إذ يعد كتاب سبويه من أقدم الكتب التي استخدمت هدا المصطلح فقد جاء في أول كتابه وهو كما نعلم أول كتاب في دراسة اللغة العربية وتحليلها وصل إلينا، جاء فيها قوله "هذا باب ما الكلام في العربية"[4] وكتاب سبويه لا يحتوي على القواعد النحوية فحسب وإنما يحتوي بلإضافة إلى ذلك على دراسات في الأصوات والصرف والدلالة أي أن مصطلح العربية عند سبويه يشمل دراسة هذه الجوانب جميعا[5] فمن يتأمل الأخبار السابقة سيدرك لا محالة أن النحو والعربية اصطلاحان مترادفان وأنهما يدلان على مفهوم لساني واحد يمكننا أن نستدل عليه من شواهد عدة نسوقها للقارئ لاستخلاص المفهوم المقصود[6].

[1]خليل حلمي، مقدمة لدراسة اللغة، دار المعرفة الجامعية، 2014، ص23.
[2]االخليل بن أحمد الفراهيدي، العين ، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السمرائي، ج1، ص57.
[3]سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار القلم ، 1966، ج4، ص433.
[4]المصدر نفسه، ج1، ص12.
[5]خليل حلمي، مقدمة لدراسة علم اللّغة، ص24.
[6]عبد الكريم مجاهد، علم اللّسان العربي فقه اللّغة العربية، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2009، ص07.

فقد جاء طبقات فحول الشعراء خبر ينقله "الزبيدي" بنصه في طبقاته" وكان أول من أسس العربية وفتح أبوابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود حين اضطرب كلام العرب فغلبت السليقة، ولم تكن نحوية فوضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف، وحروف الرفع والنصب والجزم"[1].

وهاهو ابن فارس يستعمل مصطلح علم العربية للدلالة على علم النحو إذ يقول "وكذلك الحاجة إلى علم العربية فإن الإعراب هو الفارق بين المعاني"[2].

لعل ذكر مصطلحات كالفاعل والمفعول بت إضافة إلى بعض المباحث النحوية في القول الذي أورده الزبيدي، ومصطلح الإعراب عند ابن فارس لدلالة واضحة عل أن مصطلح "العربية" مرادف لمصطلح النحو، إضافة إلى هذا المصطلح هناك زخم هائل من المصطلحات التي ذكرت في التراث اللّغوي العربي ومن بينها مصطلح "النظم" الذي ذكر لأول مرة على لسان الجاحظ وألف كتاب سماه "نظم القرآن" "والكتاب محاولة للوقوف على سر إعجاز القرآن الكريم"[3] "وأغلب الظّن أن مصطلح النظم عنده مصطلح جامع مثل مصطلح البيان يدلُّ على نظم الكلمات وترتيبها واختلاف أوضاعها في التعبير عن المعنى من حيث نظم الأصوات في الكلمة المفردة وعلاقة الكلمة بالكلمة في التركيب الكلمة"[4].

---

[1]ابن سلّام الجمحي، طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود شاكر بلات ، ص12.

[2]ا، أبي الحسن أحمد بن فارس ،الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993، ص65.

[3]عكاشة شايف ،مجلة كلية الآداب ، العدد الأول،المجلد الثاني ، ص10.

[4]ينظر خليل حلمي، دراسات في اللّسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، دط، 2010، ص160.

نستخلص مما سبق أن قضية المصطلح اللساني القديم تحتاج إلى نظر وتأمل، وربما هذا التمحيص سيفتح لنا المجال نحو تأسيس نظريات لسانية عربية أصيلة" فلا غرابة أن تعد قراءة التراث تأسيسا للمستقل على أصول الماضي، بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب"[1]. إذ يجب التوفيق بين الأصالة والحداثة، وإهمال أحدهما يؤدي إلى نقصٍ في بناء أحد النظريات، وخصوصا في الدراسات المصطلحية التي تعد منطلقا مُهما لوضع المصطلح، وخير دليل على ذلك الإسهامات اللّغوية للخليل وسيبويه والجاحظ وغيرهم في مجال المصطلح، من هذا المنطلق ومن خلال استنطاقنا لنصوص القدماء نستخلص أنّ المصطلح اللّغوي كان شائع الاستعمال في الأوساط اللغوية القديمة.

[1]عبد السّلام المسدي، التفكير اللّساني في الحضارة العربية،الدار العربية للكتاب ط1 1981 ص13.

الفصل الأول

الجاحظ في التراث اللّساني

المبحث الأول: الجاحظ ومؤلفه البيان والتبيين.

المطلب الأول: الجاحظ ثقافته واتجاهه الفكري.

مولده ونشأته.

مذهبه الإعتزالي.

ثقافته وشيوخه

وفاته وأهم مؤلفاته.

المطلب الثاني: كتاب البيان والتبيين.

نبذة عن الكتاب.

دوافع تاليفه.

أسلوب الجاحظ فيه

المبحث الثاني: البيان والتبيين من المنظور اللساني.

المبحث الثالث: نظرة المحدثون للمصطلح اللّساني الجاحظ.

المبحث الأول : الجاحظ ومؤلَّفه البيان والتبيين

المطلب الأول: الجاحظ ثقافته واتّجاهه الفكري

أولا: مولده ونشأته

" هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء اللّيثي المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور"[1].ولد في البصرة، أما تاريخ ولادته لا يخلوا من الإضطراب على أن المتفق عليه أنه ولد سنة(150هـ-775 م)، ويروى عن الجاحظ" أنا أسنّ من أبي نواس بسنة، ولدت أول سنة خمسين وولد في آخرها" [2].

درج الجاحظ طفلا في كنف أبويه، ولم يلبث أن توفي والده وهو ناشئ صغير، فنشأ في كفالة أسرته الفقيرة التي كانت من سواد الشعب في البصرة، ولما ترعرع دخل الكتّاب في البصرة يتعلم فيه القراءة والكتابة شأن غيره من الأطفال، وبدافع الرغبة في العلم والطموح إلى مستقبل كريم والتعويض عن اليتم الذي هاض جناحه أقبل الطفل الصغير بكل قلبه وجوارحه على العلم والدرس والقراءة، موفور الموهبة تام الملكة، وأخد يتردد على حلقات العلم في مسجد البصرة الجامع يتلقى الفصاحة شفاها عن العرب في المربد[3].

---

[1]ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه د.إحسان عباس دار صادر بيروت، ج3، ص507.

[2]ياقوت الحموي معجم الأدباء، حققه وضبطه وأعدّ حواشيه عمر فاروق الطبّاع مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط1999،1، ج16، ص52.

[3]محمد عبد المنعم خفاجي، أبو عثمان الجاحظ ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، دس، ص50-57.

"وكان الجاحظ بعد انتهائه من العمل اليومي التعليمي، يذهب ليتعيّش بكسب يديه فيبيع الخبز والسمك بسيحان بالبصرة"[1].

فحياة الجاحظ كانت مقسمة بين طلب العلم، وطلب العيش وإن كانت هذه الظروف قد منعته عن إشباع رغباته من مجالس المربد ومن حلقات المسجد، "إلا أنها عوضته، لما بلغه من منزلة راقية في الأدب، وتفكير فيه فريد بين علماء عصره"[2]

"وهكذا نجد أنفسنا في هذا الدور من حياة الجاحظ لقاء بيئات مختلفة كونت شخصيته"[3] ،فعلى الرغم من الفقر والظروف القاسية التي ألمت بحياته، إلّا أنهاّ كانت لها الأثر الفعّال والبليغ لمّا بلغه من العلم والمعرفة.

ثانيا: مذهبه الاعتزالي

" كان الجاحظ منذ بداية عهده في الدرس والتّحصيل يطالع كثيرا من كتب الفلسفة، وكان أكثر ميله إلى الفلاسفة الطبيعيين، فكان يروج لهم، ويخلط عباراته بعباراتهم، وقد شغف بالاعتزال، ومضى يلازم أساتذته ويستوعب كل ما عندهم، وصلة المعتزلة بالفلسفة معروفة ومقررة، فكان كلما اشتهر معتزلي لزم حلقته، وكان من أشهرهم النّظام الذي دفع الجاحظ دفعا للتزود من مذهبه الاعتزالي المعروف بالنظامية"[4].

[1]ياقوت الحموي، معجم الأدباء ،ص52.

[2]محمد عبد المنعم خفاجي أبو عثمان الجاحظ،ص56.

[3]طه الحاجري،الجاحظ حياته وآثاره، دار المعارف، مصر،ص95-96.

[4]فوزي السيد عبد ربه ،المقاييس البلاغية عند الجاحظ، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، 2005، ص30.

" اعتنق الجاحظ مذهب أستاذه النّظام وغيره من أساتذة الاعتزال، بحيث أصبح له مذهبا مستقلا وطريقته الخاصة في الاعتزال عرفت"بالجاحظية"[1].

ومما لاشك فيه أنّ الجاحظ كان من النّماذج التي شغفت بالقراءة والمطالعة والنّظر وهذا ما أكسبه التنوع في المعارف، فالاعتزال كان منطلقه من كثرة اطلاعه على كتب الفلاسفة ومن بين الأساتذة الذين لازمهم في رحلته العلمية "النظام"، فكان له أن يتأثر به كذلك في الاعتزال، إلّا أن الجاحظ انفرد من بين المعتزلة بأفكار وآراء خاصة.

" ومن مذهبه أن المعارف كلها ضرورية، وليس فيها شيء من أفعال العباد، وإنّما هي طبيعية وليس للعباد سوى الإرادة"[2].

لقد أعطت الاعتزالية أثرها في كتابات الجاحظ، والعقل رائد أبي عثمان في تصديه لكثير من الإدعاءات في الدّين والاجتماع والحيوان وغيره يقول الجاحظ" ولعمري إنّ العيون تخطئ، وإن الحواس لتكذب، وما الحكم إلّا للذهن وما الإستبانة الصحيحة إلّا للعقل"[3].

ثالثا: ثقافته وشيوخه:

" يعد الجاحظ أكبر كاتب ظهر في العصر العباسي، فقد كان الثمرة الناضجة بكل الجهود العقلية الخصبة التي نهضت بها المعتزلة في عصره، و قبل عصره سواء من حيث وضوح المنطق، أو من حيث قوة الاستدلال، أو من حيث القدرة على توليد المعاني، أو من حيث

[1]ينظر المرجع السابق، ص30.
[2]جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللّغة العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط1983 م1 ص476
[3] كاظم حطيط دراسات في الأدب العربي البيئة العباسية الجاحظ، ابن الرومي و المتنبي ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1977، ص71.

الإمساك بزمام اللغة في مادتها وأساليبها وطرائق التّعبير بها، فكان كأنه يستمد من مخازن عقلية لا تنفد"[1].

وفي هذا المجال يقول ياقوت الحموي" كان أبو عثمان واسع العلم بالكلام، كثير التبحّر فيه شديد الضبط لحدوده، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدّين والدّنيا، وهو عظيم القدرة في المعتزلة، وفي غير المعتزلة من العلماء الدين يعرفون الرجال، ويميزون الأمور"[2].

يعدّ الجاحظ علامة عصره، فلم يترك مجالا إلّا وكتب فيه، ولم يترك ظاهرة إلّا وجلّلها ووضّحها بأمثلة وشواهد، فلم يكن أديبا فقط، بل كان أديبا وشاعرا وناقدا وإماما وفيلسوفا، أما شغفه الكبير بالبحث وعكوفه الطّويل على الدراسة والمطالعة، جعله من النماذج الفذة على سعة الثقافة وحسن الإدراك، والذي يتأمل ما بقي من إنتاجه الهائل يزداد اقتناعا بأنه كان من أجمع علماء العصر العباسي، فقد فتح على نفسه باب التّنويع في معالجة المواضيع.

وهذا ما أكده علي بوملح في كتابه المناحي الفلسفية حيث يقول" التقت في الجاحظ ثلاثة مزايا الموهبة الأدبية، والفضول العلمي، والفكر النيّر، ولم يجتمع هذا لأحد على ما أعلم قديما وحديثا"[3].

وكما يقال" أربعة لم يلحقوا، ولم يسبقوا أبو حنيفة في الفقه، والخليل في أدبه، والجاحظ في تأليفه، وابوتمام في شعره"[4].

[1] فوزي السيد بن عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ،ص35.
[2]ياقوت الحموي، معجم الأدباء ، ج16، ص56.
[3]علي بوملح، المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ، دار الطبيعة، بيروت ، للطباعة والنشر، دط، دس، ص63.
[4] محمد عبد المنعم خفاجي، أبو عثمان الجاحظ، ص185.

فالجاحظ هو المثقف المحمول بالتعدد والتنوع، وما نستطيع الإقرار به أن عمق تفكيره، جعل منه عالما في اللّغة وبيانها، " وقد تتلمذ الجاحظ على جلة من أساتذة عصره، تعددت ثقافتهم، وتنوعت مشاربهم ، وكان لهم الأثر الذي لا يجحد على ثقافته وتكوينه العلمي" [1].

" سمع الجاحظ من أبي عبيدة(ت 210هـ) والأصمعي(ت 215هـ)، وأبي زيد الأنصاري(ت215هـ) ، وأخذ الكلام عن النظّام(221هـ)، وتلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد"[2]

من سبق ذكرهم هم شيوخ الجاحظ الذين تلقى عنهم أصول اللّغة، وصناعة الأدب، وعلم الكلام، وتربى على موائدهم التي تزاحمت عليها صنوف العلم وفنونه وتنوعت تنوعا نلمس آثاره في نبوغه وسعة علمه وأدبه"[3].

رابعا: وفاته و أهم مؤلفاته:

وفاته:

" ظل الجاحظ منكبا على العلم والتأليف، ينتقل في سبيل ذلك بين بغداد والبصرة إلى أن أدركته الشيخوخة وأصيب بالفالج ولما اشتدّت عليه العلة استقرّ بالبصرة مسقط رأسه

فأقام بها البقية من عمره، إلّا أنه لم يعف نفسه من الكتابة والتأليف فأخذ ينتج ويبدع"[4]

[1]فوزي السيّد بن عبد ربه، المقاييس البلاغية ص30.

[2]ياقوت الحموي، معجم الأدباء معجم الأدباء، ، ص53.

[3]فوزي السيد لمقاييس البلاغية، ، ص26.

[4]المرجع السابق،ص32.

"وحقا ما كان أعجب هذا الرجل وما كان أعجب هذه القوة العصبية المتقدة المتوهّجة، التي لم تعد تعبأ بالسّن ولا بالفالج، ولا بهموم الحياة،بل كأنما كانت هذه الأعباء ممّا يزيدها مضاء وتوهّجا وجدّة"[1].

وظلّ على هذا الحال من المرض والألم، حتى وقعت عليه مجلدات الكتب التي اعتاد أن يضعها حوله قائمة كالحائط، فمات في المحراب الذي أحبه وبحر فيه طول حياته"[2] وكانت وفاته سنة 255 في خلافة المعتز"[3].

أبو عثمان جسّد لنا الإرادة والإقدام والعزيمة والصرامة والجدية كل هذه الصفات جعلت منه عالما، وبوأته المكانة التي لم يصل إليها إلاّ القليل، ولا أحد يستطيع أن ينكر أن الجاحظ مثّل الحضارة العربية والإسلامية أحسن وأرقى تمثيل.

مؤلفاته:

يعتبر الجاحظ الكتاب خير معلم حيث يقول في كتاب الحيوان " قد يضّل صاحبه، ويتقدم مؤلفه، ويرجع قلمه عل لسانه، وهو يقرأ في كل مكان، ويظهر مافيه على كل لسان ويوجد مع كل زمان على تفاوت ما بين الأعصار، وتباد ما بين الأمصار، وذلك أمر يستحيل في واضح الكتاب"[4]

[1]عبد المنعم خفاجى،أبو عثمان الجاحظ ص455.

[2]فوزي السيّد، المقاييس البلاغية ص33.

[3]ابن النديم ، الفهرست تحقيق رضا تحدد،ص209.

[4]، الجاحظ ،الحيوان تحقيق عبد السلام هارون، ج1، دار الكتاب بيروت، لبنان، ط3، 1969،ص75.

ويبدو أن الجاحظ فيما كتب وألّف، لم يكتب إلّا عن رغبة واقتناع، وكثيرا ما كان يذكر السب الذي حمله على تأليف كتبه حيث يقول في مقدمة البخلاء" ذكرت حفظك الله إنك قرأت كتابي في تصنيف حّيل لصوص النّهار، "وفي تفصيل حّيل سراق الليل، وأنّك سددت به كل خلل... وذلك أن موقع نفعه عظيم، وأن التقدّم في درسه واجب...."[1].

وقد ذكر ياقوت الحموي في معجمه مؤلفات الجاحظ مصرحا" وهذا فهرست كتب الجاحظ كتاب الحيوان، وهو سبعة أجزاء، أضاف إليه كتابا آخر سمّاه كتاب النّساء وهو الفرق بين الذّكر والأنثى، وكتاب آخر سماه كتاب الفعل، وقد أضيف غليه كتاب سماه كتاب الإبل ليس من كلام الجاحظ، ولا يقاربه، كتاب البيان والتّبيين، كتاب الزرع، والنّخل، كتاب مسائل القرآن، كتاب فضيلة المعتزلة، كتاب الإمامة على مذهب الشّيعة، كتاب العثمانية، كتاب صياغة الكلام، كتاب الرد على اليهود، كتاب الوعيد، كتاب الهدايا، كتاب الحزم والعزم، كتاب عناصر الآداب، كتاب المثال، كتاب أحدوثة العالم، كتاب التربيع والتدوير، كتاب رسالته في العفو والصفح، كتاب رسالته في الحيلة، كتاب رسالته في مدح الكتاب، كتاب رسالته في الأمل والمأمول، كتاب رسالته في ذم الكتاب، كتاب رسالته في العلم، كتاب رسالته في فضل اتخاذ الكتب، كتاب المخاطبات في التوحيد، كتاب الأخبار، كتاب من زعم أن الإنسان جزء لا يتجزأ، كتاب نقص الطب.."[2].

[1]الجاحظ ، البخلاء، تحقيق التونجي، بيروت، دار الجيل ط1، 1993، ص2.
[2]ياقوت الحموي،معجم الأدباء ،ج16، ص107.

المطلب الثاني:كتاب البيان والتبيين:

"إن كتب الجاحظ كانت موضع اهتمام العلماء على اختلاف ثقافتهم، وإذا كانت هذه الكتب من الشهرة وذيوع الصيت بحيث حرص كل مشتغل بالعلم على اقتنائها والإفادة منها فإن كتاب" البيان والتبيين" موضوع هذا الكتاب كان أشهر هذه الكتب وأكثرها ذيوعا وانتشارا"[1].

كتاب البيان والتبيين هو آخر ما ألف الجاحظ، إذن هو نتاج عمر طويل، وحصيلة تجارب فكرية، وأدبية ولغوية ، لهذا نجد الكتاب قد ضم مادة غزيرة في شتى المواضيع استفاد منه كبار العلماء والكتاب، وهاهو ابن خلدون يعتبر كتاب البيان والتبيين من أمهات كتب الأدب العربي فيقول" سمعت من شيوخنا في مجالس التعليم، أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة: أدب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ والنوادر للقالي وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها"[2].

وقال المسعودي" وله أي الجاحظ" كتب حسان منها كتاب البيان والتبيين وهو أشرفها لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم، وغرر الأشعار ومستحسن الأخبار، وبليغ الخطب ما لو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به"[3].

---

[1]فوزي السيّد، المقاييس البلاغية ،ص39.

[2]ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الكبر مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت ط3،م1،ص1927.

[3] حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ، دار الجيل، بيروت، ط3، 2003،م 2،ص116.،

*معتزلي بليغ وصاحب نفوذ واسع في دولة الخلافة ،ولى القضاء للمأمون والمتوكل وتوفي عام240هـ.

وقد ألف الجاحظ كتابه البيان والتبيين بعد كتاب الحيوان وأهداه إلى أبي دؤاد* فكلفه عليه بخمسة دينار، ويشير فيه إلى الحيوان فيقول مثلا" كانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار والجزء في الكتاب يسمى مصحفا"[1]

" فإذا سلمنا بان "البيان والتبيين" هو آخر ما ألف الجاحظ أدركنا ماله من قيمة نوعية يتميز بها عن سائر مؤلفاته، فهو حصاد عمر طويل، انقضى في البحث والتصنيف، وهو ثمرة تمثل ثقافي طويل المدى، وتجريد فكري بعيد الأغوار أما موضوع الكتاب فهو كما تمليه مبدئيا عبارة البيان والتبيين، بحث في خصائص التعبير البيّن أي في صناعة الكلام وما تمتاز به اللّغة من طاقات الإبلاغ والإفصاح"[2]. ففي الجزء الأول يشرح الجاحظ البيان والتبيين ، ويبين عيوبه، ويضع حدودا للبلاغة ومذاهبها وفي الجزء الثاني يتحدث عن الخطابة والشعر وفي الثالث يرد على الشعوبية مطاعنها التي قدحت بها في العرب" [3].

دوافع تأليفه:

الكتاب قد صنعته إلى جانب النوازع الفنية الأدبية، دوافع علمية مذهبية، إذْ يبدو أن المتكلمين والجاحظ أحد أعلامهم قد كانوا أشد الناس عناية بخصائص الكلام البليغ لاعتمادهم على صياغة اللفظ وأفانين تصرفه في مناظراتهم، ومسجلاتهم، وللكتاب غاية

[1] الجاحظ،البيان والتبيين ج1، ص15.

[2] عبد السلام المسدي، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون ، نشر الشركة التونسية للتوزيع، 1948م، ص100.

[3] عبد المنعم خفاجي ،أبو عثمان الجاحظ ، ص315.

لعلها هي التي حركت الجاحظ إلى تأليفه، وتتمثل في الرد على الشعوبية ردا صريحا وضمنيا في أغلب الأحيان فقصد بذلك إلى إبراز الطابع الذي انفردت به حضارة العرب، و ما تميّزو به عن غيرهم من ذوي الحضارات الأخرى ولا سيما الفارسية منها وما هذه السمة المميزة إلا البلاغة والفصاحة"[1]

من هذا المنطق نلاحظ أن الجاحظ كان له هدفا واحدا ووحيدا هو الدفاع عن البيان العربي بمختلف مظاهره، حيث يظهر ذلك في مقدمة كتابه إذ يقول" اللهم إنّا نعوذ بك من فتنة القول، كما نعود بك من فتنة العمل، ونعود بك من التكلّف لما لا نحسن كما نعود بك من العجب بما نحسن، ونعود بك من السّلاطة، والهذر كما نعود بك من العيّ والحصر، وقديما ما تعوذوا بالله من شرهما وتضرعوا إلى الله في السلامة منهما"[2].

أسلوب الجاحظ فيه

" أسلوب " البيان والتبيين" هو أسلوب الجاحظ في تنوعه واستطراده فإنه يجد ما وجب الجدّ ويهزل ما حسن الهزل، و ما هو يستقر نسقا واحدا في الموضوع الواحد، بل يمضي دفقا متنوعا متقلبا، تنوع طباع الكاتب وتقلباتها، وإذ يحكي ويقص، ويسرد ويحلل ويعلل ويصف ويعرض الشواهد والنماذج ثم هو يستطرد، ويتباين بتباين مواضيع الكتاب وأشخاصه من كتاب وخطباء وبلغاء ومعلمين وناس عاديين وغير عاديين"[3].

[1] عبد السلام المسدي، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون ، ص101.
[2] الجاحظ، البيان والتبيين ص03.
[3] كاظم حطيط، دراسات في الأدب العربي ص51.

"فالجاحظ كان يزاوج بين معنيين، حيث لا تتجلى هذه المزاوجة في الصيغة اللفظية فحسب بل حتى في تنشئة المعاني وتحريرها أيضا، ودليل الجاحظ دليل ذو وجهين وجه جعله للعامة ووجه جعله للخاصة من الناس فهذا يدل على الاقتدار، وهذه سمة امتازت بها المدرسة الكلامية ذاتها[1].

ولعلّ ما يوضح لنا أنّ أسلوب الجاحظ اتّسم بالبعد عن التكلف والغموض قوله" أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عزّ وجلّ قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة،على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع بعيدا من الإستكراه، ومنزَّها عن الاختلال مصونا عن التكلُّف، صَنَع في القلوب، صنيع الغيث في التُّربة الكريمة"[2].

استنادا على ما سبق يمكن القول أن كتاب البيان والتبيين كانت له المكانة الكبرى في قطب التأليف العربي، إذ يعتبر من أروع وأنفع مؤلفات الجاحظ على الإطلاق، فالكتاب لم يضم مباحث أدبية فقط، بل تجاوزها الجاحظ ليتعمق في اللغة وبيانها، موظفا العديد من المصطلحات ومن بين المصطلحات اللّسانية التي أولاها الجاحظ اهتماما كبيرا مصطلحا " البيان والتبيين".

المبحث الثاني:البيان والتبيين من المنظور اللساني:

[1] ينظر محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ خلال البيان والتبيين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، دط،1983، ص62.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين،ج1 ص83.

المفهوم العام للبيان

عرّف الجاحظ البيان تعريفا عاما فقال" البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[1].

"فالمتكلم في البيان تنتهي مهمته في التعبير ولا يتجاوزه، وعلى السامع أن ينقل ليلتمس المعنى، ويفضي إلى حقيقية، وعبارة يهجم على محصوله التي استعملها الجاحظ عادة عند كلامه عن البيان دليل قاطع على ذلك"[2].

إذن لفظة "بيان" في القول السابق تشير إلى واقع التعبير عن معنى من المعاني بلغة التعبير الممكنة وهكذا يكون مفهوم البيان من هذه الوجهة متجسّد بقول الجاحظ، يصح اعتبارها تعريفا أوليا بما جاء فيها" والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عزّ وجل بمدحه"[3].

استنادا على ما سبق، يمكن القول أنّ البيان بمفهومه العام لا يقتصر فقط على التعبير باللفظ، بل يشمل جميع وسائل التبليغ، ولعلّ ما يوضح لنا ذلك قوله " وجميع أصناف

[1] المصدر نفسه ،ص75.

[2] محمد الصغير بناني، النّظريات اللسانية والبلاغية والأدبية، ، ص199.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص75.

[3] المصدر نفسه ص76

الدّلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال إلي يسمى نصبة"[1] ومعنى هذا "أنّ الجاحظ كان يدرك قيمة الإشارة سواء بالجارحة أو كرمز للدلالة على المعنى، مما يدل على أن للرمز علاقة وقدما في الفكر الإنساني وتاريخا طويلا، قد يلوح شيء منه في الإشارة والرموز التي اتخذها العرب قبل الإسلام، وحفلت بها كتب التاريخ والأخبار والأدب."[4]

"كما يدل كلام الجاحظ أيضا على ما عوّل عليه بعض الفلاسفة والمتكلمين والصوفية من رمز للحقائق سواء بواسطة الكلمات أو غيرها من الرموز والإشارات المحسوسة"[2].

"فإذا رجعنا إلى النصوص التي وردت فيها وسائل البيان أو أصناف الدّلالات، نلاحظ أنّ الجاحظ اتخذ فيها موقفين مختلفين، موقف يحاول أن يفسر فيه كل قسم تفسيرا لسانيا وموقف آخر يتميّز بالتعبير الرمزي، وبهذا تكون هذه الوسائل، تعبر تارة عن نظام لساني حقيقي، وتارة عن نظام فلسفي مجازي، يدور حول مصطلحات رمزية لا يمكن استبعادها إلا من خلال النظام كله"[3] وأول هذه الدلالات هو:

1) اللفظ: هو العلامة اللسانية المكونة من دال ومدلول وقد وضح الجاحظ بعض خصائصه بقوله" اللسان مقصور على القريب الحاضر"[4]غير أن السياق الذي يرد فيه مصطلح اللفظ

---

[4] نور الهدى لوشن علم الدلالة ، دراسة وتطبيق ، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث،ص298.

[2] المرجع السابق،ص229.

[3] ينظر محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية،ص76.

[4] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيبي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط6، 1999م، ص146.

يقف منه الجاحظ موقفين موقفا يكون اللفظ فيه جزء من المعنى، وهو سمة له، وصورة تنعكس فيها آثاره، وفي هذه الحالة يكون اللفظ متصلا بالمعنى اتصالا وثيقا ومتلاحما شديدا كقوله" وفي القرآن معان لا تكاد تفترق مثل الصلاة والزكاة والجوع والخوف والجنة والنار"[1].

أما الموقف الثاني فهو الذي يكون فيه اللفظ مستقلا عن المعنى أو عبارة أخرى عمّا لفظته المعاني وطرحته" لغوا بهرجا وساقطا مطرحا"[2]، وفي هذه الحالة يكون كالقشرة بالنسبة للّب والظاهر بالنسبة للداخل.

2)الإشارة: ذكر الجاحظ الإشارة بعد اللفظ مباشرة، وهذا نظرا لأهميتها في البيان العربي، إذ اعتبر ذلك بقوله" الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغنى عن الخط"[3]

فهذا القول يدل دلالة واضحة على اكتشاف الجاحظ لطبيعة الإشارة ودورها في الأداء الكلامي،" إلا أنّ بعض ملاحظاته تصور لنا رؤية حديثة وهوعلم الحركة الجسمية"[4].

إذن بناءا على ما تقدّم، يبدو أن الإشارة عند الجاحظ هي مجموعة من الحركات والإيماءات.

[1] الجاحظ ،البيان والتبيين، ج1، ص253.
[2]المصدرالسابق ،ص76.
[3]المصدر نفسه، ص78.
[4] محمد الصغير بناني النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية، ، ص82.

3) العقد: "إن المتتبع لمفهوم العقد في نصوص الجاحظ يكشف أنه دلالة رياضية تعتمد على العقل والمنطق، لاستنباط المعنى الذي يبحث عنه كل من المتكلم والسامع، والعقد دلالة نظرية بحتة منشأها العقل وصورتها المنطق وغايتها الإقناع المطلق[1].

إنّ " العقد وسيلة من وسائل البيان غير أن دلالته محدودة في عقد الحساب بالأصابع والجاحظ يرى أن العقد كاللفظ في كونه ذا علاقة مباشرة في إيصال المعنى"[2].

4)الخط: "ويقصد به الجاحظ التعبير عن المعاني، بواسطة الحروف المكتوبة، فالخط لا يختلف عن التعبير باللفظ، إلا في كون اللفظ يعتمد على الصوت، والخط يعتمد على الحبر"[3]

من هذا المنطلق يمكن القول أن الخط هو أحد أنواع الدلالات وظيفته تسجيل الكلام والمحافظة عليها لذلك" قالوا القلم أحد اللّسانين وقالوا القلم أبقى أثرا"[4].

5) النّصبة: هي الدلالة البيانية الخامسة عند الجاحظ، وقد عرفها بقوله" والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف"[5]وذكرها في موضع آخر فقال" وأما النصبة وهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد"[5]

[1] محمد الصغير بناني ،المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة،دار الحكمة، دط، دس، ص193
[2] أحمد حساني ،مباحث في اللسانيات، ، ص147.
[3] محمد الصغير بناني النظريات اللسانية، ،ص78.
[4] الجاحظ ، البيان والتبيين، ص79.
[5]المصدر نفسه،ص76.

يتجسد مفهوم النّصبة عند الجاحظ في تلك النظرة التأملية للإنسان والتي بفضلها يتوصل إلى استنباط المعنى" فإذا أعدنا صياغة هذا النص عن أصناف الدلالات كما أسماها الجاحظ وفق النّظرية اللّغوية الحديثة فيما يتصل بمفهوم الاتصال لوجدنا ثلاثة من وسائل الاتصال الخمس فاللفظ مصطلح عند الجاحظ يعال اللغة المنطوقة spoken language.

في اصطلاح علماء اللغة الآن الإشارة عنده تعادل الحركة الجسمية ، أما الخط فيعادل مصطلح اللغة المكتوبة عند علماء اللغة"[1].

المفهوم الخاص للبيان:

ليس ثمة شك في أن المدلول العام للبيان هو الجمع بين وسائل التعبير أو التبليغ المشار إليها آنفا" غير أن الجاحظ غالبا ما يستعمل لفظ البيان للدلالة على بلاغة التعبير بدقة الكلام المقول أو المدون ، ومن هنا فإن المعنى الخاص للبيان اقتصر عنده فقط على هذا المدلول دون غيره بحيث يصبح مرادفا للبلاغة[2].

ولعلّ ما يوح لنا هذا التعريف، هو ما أورده بن رشيق القيرواني في تعريف أبو الحسن الرماني للبيان فقال" هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك، وقيل لئلا تلتبس بالدلالة لأنها

[1]ينظر خليل حلمي دراسات في اللسانيات التطبقية، ص106.

[2] ميشال عاصي ، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، مؤسسة نوفل بيروت، لبنان، ص40.

إحضار المعنى لنفس وإن كان بابطاء"[1]وقال أيضا "البيان هو الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة"[2].

بناء على هذا يتبين لنا أن البيان بمفهومه الخاص هو استعمال الألفاظ استعمالا واعيا قصد التعبير عن المعاني والأفكار بوضوح وسلاسة، مع الابتعاد عن التكلف والتعقيد، "فلا قيمة للألفاظ عند الجاحظ إذا كانت زخرفا من غير فائدة أو صخبا من غير قيمة أو جلجلة من غير غاية"[3].

التّبيين:

إنّ مفهوم التبيين يقترب من مفهوم البيان إلا أنه يختلف عنه بتضعيف عين الفعل أو المصدر، فينتقل المعنى من البيان إلى حسن البيان، وبالتالي نجد في مفهوم التبيين اهتمام المتكلم بالمخاطب، وتوجيه الكلام إليه، فالغاية من تضعيف العين كثيرا ما يؤتى بها للتلكثير، وهكذا يكون مرادفا للبيان مع ميزة تميزه عنه هي التأكيد أو التوسيع في المعنى"[4].

إذن التبيين هو عبارة عن رسالة أو خطاب من المتكلم موجه إلى المخاطب أو السامع وبالتالي سيفيد التوصيل أو التبليغ.

[1] ابن رشيق القيرواني، كتاب العمدة ، في نقد الشعر ، شرح وضبط د عفيف نايف خاظوم، دار صادر بيروت، ط1، 2003،ص214.

[2]المصدر نفسه، ص214.

[3] محمد بركات، الأصول الأدبية في كتاب البيان والتبيين ، مكتبة الرسالة الحديثة، ط1، 1989، ص41.

[4] محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية ،ص209.

"ولكن أحسن وسيلة لإدراك معنى هذا المفهوم، هو أن ندرسه من خلال مفهومين آخرين كثيرا ما يردان في سياقه، ولم يصابا بالتحريف هما الفهم والإفهام"[1] يقول الجاحظ "والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل ، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلّم والمتعلم"[2].

وهكذا ينحصر البيان في المعنى، والتبيين في اللفظ، ويكون عنوان الكتاب البيان والتبيين مقصودا به أيضا المعنى واللفظ"[3].

من هنا يمكن القول أنّ البيان يرتكز على المتكلم والسامع، انطلاقا من اللفظ بهدف الحصول على المعنى، أما التّبيين فهو خاص بالمتكلم فقط، واللفظ هو هدفه المنشود لتكوين خطابه.

المبحث الثالث:نظرة المحدثون للمصطلح اللساني الجاحظي.

" لقد أصبحت فلسفة المعارف اليوم تعتمد في مناهج بحثها عموما على الانطلاق من المتصورات الذهنية، وما تتبلور فيه من مصطلحات لغوية نوعية، فتضمن بذلك حداً أدنى من أسس التقييم الموضوعي، وقد أنجرّ عن ذلك أنّ العلوم الإنسانية امتثلت لتلك المقتضيات المبدئية، فالتزمت في مناهجها قاعدة حصر متصوراتها الذهنية، ومجالاتها الدلالية والإيحائية في مصطلحات مستقلة الحقول"[4].

[1] المرجع نفسه،ص209.
[2] الجاحظ، .البيان والتبيين، ص12.
[3] محمد الصغير بناني ،النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية ، ص212
[4] عبد السلام المسدي، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون ، ص120.

ومن المعروف أن التراث اللّغوي النقدي القديم بما يتسم به من تاريخية، ما فتئت تتجدّد بتجدّد الرؤى إليه، يقدم لنا خير مجال لمثل هذه الاستقراءات، إذ فضلا على أن مادته النوعية هي نفسها خام شأن " البيان والتبيين" فإنّ مادة العلم اللغوي في مثل هذا الكتاب هي مادة في مجملها لا واعية وبالتالي،" فإن مصطلحاتها في حدّ ذاتها تمثل مادّة ثرية للباحث المعاصر"[1].

فمكانة البيان والتبيين في الدّراسات اللّسانية الحديثة لا تحتاج إلى برهان ذلك، لأنه ضمّ تراثا لغويا أصيلا، ودليل ذلك تلك المصطلحات اللسانية التي وظفها الجاحظ في متن كتابه على الرغم من أنّه استعملها استعمالا تلقائيا، إلا أنّها أسهمت في إثراء الدرس اللساني ومن بين المصطلحات المتداولة على لسان الجاحظ بكثرة مصطح البلاغة، هذا المصطلح الذي ورد بمدلولات اختلفت باختلاف مواضع استعمالها" فقد ورد بمفهوم لساني صرف مفاده مجرد الحديث اللغوي الذي تجسمه عملية الكلام، أي أنّ عبارة بلاغة تقارب عندئذ المفهوم اللّساني الحديث المعبر عنه بالبث، واستعمل بمعنى فيزيولوجي فكري مضمونه الطلاقة وغايته انسجام ركني الدلالة، وورد بمعنى لغوي نفساني غايته التأثير ، وكذلك استعمل بدلالة أسلوبية غايتها الخلق الفني"[2]

[1] المرجع السابق،ص121.
[2] المرجع نفسه، ص125.

ومن خلال تحليل وتفسير عبد السلام المسّدي لمصطلح البلاغة عند الجاحظ، يتضح لدينا،أنّ الجاحظ تطرق إلى هذا المصطلح من زوايا عدة ووظفها توظيفا يتلاءم مع مدلولها، وبهذا يكون قد فتح آفاقا واسعة للبلاغة.

" فالبلاغة التي راح الجاحظ يصفها في البيان والتبين، تهدف إلى دراسة الكلام البشري دراسة علمية ، والبلاغة في التعبير الجاحظي ليست في كثير من الأحيان سوى التبليغ والتوصيل كما يقول علماء اللّسان اليوم، غير أن الجاحظ المتكلم لا يقبل أن يحصر بلاغته في الدليل اللّساني فهو يتناولها من خلال جميع دلالاتها اللّسانية وغير اللّسانية، فهي بهذا أقرب إلى علم السمياء la sémoiologie منها إلى اللسانيات"[1].

ويتبع مصطلح بلاغة في استعمال الجاحظ مصطلح إبلاغ الذي ورد بمعنيين أحدهما لغوي غايته نقل الخبر فقط، والثاني فنّي لساني، يفيد عملية إيصال الرسالة اللغوية إلى متلقّيها"[2]

وقريب من مصطلح البلاغة مصطلح الفصاحة الذي ذُكر بمعان متفرقة ، مثل له الدكتور عبد السلام المسّدي بالجدول التالي:[3]

[1] محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية، ، ص11.
[2]ينظر عبد السلام المسّدي، قراءت مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، ص125.
[3]المرجع نفسه، ص126.

الترقيم	المحاور المعنوية		
	نوعية الدلالة	مضمونها	غايتها
01	لسانية عامة	عملية الكلام	البث
02	فيزيولوجية صوتية	عملية التصوية	سمعية جمالية
03	لغوية نفسانية	الخطابة	التأثير
04	منطقية لسانية	النحاجّة	الإقناع
05	أسلوبية	الخصائص المميزة	الخلق الفني

فإذا قارنا بين مصطلح البلاغة ومصطلح الفصاحة انطلاقا من نظرة د. عبد السلام المسّدي، نجدهما يشتركان في عدّة دلالات منهم المدلول اللساني والفيزيولوجي واللّغوي النفساني والمنطقي اللّساني والمعنى الأسلوبي، وهذا ربما يجعلنا نجزم أن المصطلحين مترادفين بنسبة كبيرة، ولعلّ تركيز الجاحظ على البيان والفصاحة والبلاغة قاده إلى الحديث عن الأمراض اللّغوية المخلة بفصاحة اللسان، فعبّر عن ذلك بمصطلحات منها العي والحصر والهذر والفأفاة والتمتمة والحبسة والعقدة واللَّجلجة،" أما في حديثه عن اللثغة وأثر الوراثة فيها، فكان كأنه الطبيب المجرب"[1] ، وسقوط الأسنان عنده" أصلح للمرء في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها، وخالف أحد شطريها الشطر الآخر"[2].

[1] محمد علي زكي صباغ ،البلاغة الشعرية ي كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، المكتبة العربية، صيدا بيروت، ط1، 1998، ص59.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 61.

ومّما سبق يمكن القول أنّ الجاحظ استطاع بحسه العلمي وبالاستعانة بالطرق البدائية المتوفرة في عصره، أن يعالج المرض اللغوي معالجة قريبة من المعالجة التجريبية والموضوعية، مقتربا إلى حد كبير من البحوث اللغوية، سواء في وصفه للمرضى اللّغوي وصفا دقيقا أم اقتراحه لبعض العلاجات الطبيعية لهذه الأمراض، وربما كان الجاحظ في اقتراحه لهذه العلاجات مدركا أن مثل هذه الظواهر المرضية ، هي ظواهر وراثية أكثر منها ظواهر اجتماعية"[1] وجملة الكلام في هذا الباب، أن الجاحظ تمكن من تصوير عيوب اللفظ، فلم يترك شيئا إلاّ و ذكره، وقلّب معاني الحصر والعي، وشرح مصطلح اللثغة بدقة، وعرض اللّحن بواقعيه، وشرح اللّكنة بإيجاز مستدركا، أن ها الباب كبير ويكتفي منه قدر الإمكان بالذي ذكر"[2].

هذا فيما يخصّ مصطلحات عيوب النطق التي سوف نتعرض لها بالدراسة والتحليل في الفصل الموالي، أمّا الآن سنركز على مصطلح لساني يعتبر لبّ الدراسات الأدبية واللّغوية ألا وهو مصطلح اللغة الذي كان له دلالة محددة، ومن بين الباحثين الذين تطرقوا لهذا المصطلح محمد الصغير بناني، الذي يرى أن تصور الجاحظ للغة يختلف كثيرا عمّا وصلت إليه الدراسات اللّسانية الحديثة، وأساس هذا التصور أربع دعائم **الصوت والتقطيع والتأليف والفصاحة**"[3]. أي أن يعرف أن اللغة مادّة مكونة من أصوات منطوقة على وجه مخصوص، تصدر عن أعضاء النطق عند بني الإنسان، وأنّ هذه الأصوات تقطّع وتشكل

[1] مازن الوعر، قضايا آلية في علم اللسانيات ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ص552.
[2] محمد زكي صباغ ، البلاغة الشعرية في البيان والتبين للجاحظ ، ص205.
[3] محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية، ص109 .

بحيث لكل وحدة فيها خصائص نطقية وسمعية مميّزة"[1]، والصوت عند بالنسبة للتقطيع هو بمنزلة الحبر الذي في القلم بالنسبة للكتابة نفسها، فمصطلح **التقطيع** يقصد به الجاحظ تقطيع الحروف، بينما يخصص مصطلح التأليف للكلمات، ومفهوم **التأليف** عند الجاحظ كثيرا ما يرد عنده مصحوبا بألفاظ نظم وأقسام"[2]

إذ يقول" ولابد أن نذكر فيه أقسام تأليف جميع الكلام ن وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور، وهو منثور غير مقفى على مخارج الأشعار والأسجاع، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج"[3].

وكأنّ الجاحظ في زمانه ارتأى أنّ اللغة أربعة مستويات لسانية ترتكز عليها اللغة في بناء دعائمها بدء من الصوت في حدود المستوى الصوتي، فاللغة في رأيه مادة مكونة من أصوات منطوقة، هذه الأصوات تقطّع وتشكل، بحيث لكل وحدة خصائص نطقية وسمعية وتأليفا نظاميا يقتضي بالضرورة مستوى تركيبيا تقوم عليه بنية اللغة، وفصاحة تلمّ بإفادة الكلام غرض القصد، تستدعي مستوى دلاليا.

[1] خليل حلمي، السانيات التطبيقية ،165.

[2] محمد الصغير بناني ، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية، ص111-112.

[3] الجاحظ ،البيان والتبيين، ، 383.

الفصل الثاني

المستوى الصوتي في البيان والتبيين

المبحث الأول: المصطلحات الدالة على المخارج وصفات الأصوات

المطلب الأول: مصطلح المخارج

المطلب الثاني: مصطلحات صفات الأصوات

المبحث الثاني: المصطلحات الدالة على عيوب النطق

المطلب الأول: العيوب البيانية

المطلب الثاني: العيوب اللّفظية

لاشك أن الحديث عن الجاحظ، يستدعي ألوان مختلفة من العلوم، ولا سيما اللغوية منها، وهذا ما لمسناه عندما اطلعنا على مؤلفاته وخصوصا البيان والتبيين، الذي ضمّ العديد من المسائل والقضايا المتصلة بعلم اللغة، وقد صرّح بذلك أحد شوقي قائلا" إنّ الجاحظ خطا بالكتابة الفنية عند العرب خطوة جديدة نحو التعبير عن جميع الموضوعات في خلابة وبيان عذب"[1]

ففي وسط هذا الزخم الهائل من المعارف، اخترنا جانبا من الجوانب التي كبّ الجاحظ اهتمامه عليها، ألا وهي "علمية النطق" باعتبارها الركيزة الأساسية للفصاحة؛ والحدث عن عملية النطق عند الجاحظ يتطلب بالضرورة الحديث عن تلك العيوب الكلامية التي أكد عليها محللاً ومعللاً، حتى إنّه أُعتبر عالم اللغة التطبيقي في زمانه.

المبحث الأول: المصطلحات الدالة على المخارج وصفات الأصوات

المطلب الأول: مصطلح المخارج

1) مخارج الحروف:

يعتبر مصطلح المخرج من بين المصطلحات الشائعة الاستعمال على قلم الجاحظ، إلا أن معناها يختلف من موضع لآخر، حيث ورد بمعنى الموضع الذي يصدر منه الصوت وذلك عند تشخيصه لمخرج الضاد، وفي مواضع أخرى ذكر بمعنى الطريقة الصحيحة للتلفّظ

[1] حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي، ص116.

بالحرف، ونلاحظ كذالك أن استعماله لمصطلح الحرف كان بديلاً لمصطلح الصوت، اذ أنّه يذكر الحلاف ويقصد الصوت، وهذا ورد عند الكثير من العلماء ومنهم الخليل بن أحمد الفراهيدي(175 هـ)، ومن بين المصطلحات التي وردت في كتاب البيان والتبيين وتدل على مخارج الحروف.

1) من الشّدق الأيمن مخرج الضاد.

2)التقاء الشفتين مخرج الميم والباء.

1) يقول الجاحظ في مخرج الضّاد" فأما الضّاد فليست تخرج إلاّ من الشّدق الأيمن، إلّا أن يكون المتكلّم أعسرا أيسرا مثل عمر بن الخطاب" رحمه الله" فإنه كان يخرج الضاد من أي شدقيه شاء، فأما الأيمن والأعسر والأضبط فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد"[1]

يبدو أن الجاحظ عندما تعرّض لمخرج الضاد، أكد على أنّه يتمّ من حافة اللسان اليمنى أو اليسرى، ومن الشفتين الأيمن والأيسر، ولاسيما عند المتكلم البليغ، فهي عنده كالام جانبية لأنّ هواءها ينحرف إلى جانبي الفم، ولهذا فقد ضرب الرواة مثلا لبلاغة عمر بن الخطاب، لأنه كان يستطيع أن يخرجها من أي شدقيه شاء"[2].

[1] الجاحظ ،البيان والتبيين، ج1، ص62.
[2] كمال بشر ،علم الأصوات،دار غريب للطباعة ، القاهرة، ص256

بناء على هذا نلاحظ أنّ الجاحظ عيّن بدقة فائقة مخرج الضّاد، واعتبره من أصعب الحروف على اللسان عند النطق به" لأنّها تنفرد بالاستطالة، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله فإن ألسنة الناس فيه مختلفة"[1].

2) وقد عبّر الجاحظ عن مخرج الميم والباء بقوله" والميم والباء أول ما يتهيّأ في أفواه الأطفال، كقولهم ماما، بابا، لأنهما خارجان من عمل اللسان، وإنّما يظهران بالتقاء الشفتين"[2]، وهذا ما ذكره الخليل بن أحمد الفراهيدي في معرض حديثه عن الأصوات اللغوية إذ يقول " ثلاثة شفوية ف– ب– م، مخرجها من بين الشفتين، خاصة لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح، إلّا في هذه الأحرف الثلاثة فقط"[3].

نستنتج مما سبق أنّ أول الحروف التي ينطق بها الطفل هي الشفوية، لأنّها أسهل، ويتم نطقها باستعمال الشفتين فقط دون عضو آخر، فعلى الرغم من أنّ الجاحظ لم يهتم بجميع مخارج الحروف " وإن كان يستعمل مصطلح المخرج للدلالة على مخرج الحرف الواحد إلا أنه يورده أيضا بمعنى المخرج العام لجميع الحروف ويعطيه صيغة النظام الذي

[1] إبراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية ،مطبعة نهضة مصر ، ص49

[2] الجاحظ ،البيان والتبيين، ج1، ص621.

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج1 ص51

تجري فيه اللغة، فهو يعلم أن المخارج لا تحصى، ولا يوقف عليها، منها مخارج اللفظ،ومخارج الأشعار، ومخارج الكلام." [1].

2) مخارج اللفظ:

لعلّ المقصود بمخارج اللفظ عند الجاحظ هو حسن التلفّظ بألفاظ لغة من اللغات، لأن التكلم بإحدى اللغات يتطلب بالضرورة الإحاطة بنظامها، ومن بين هذه النظم إتقان مخارج الألفاظ، وقد عبّر الجاحظ عن ذلك بقوله" ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الأعراب فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها"[2].

3) مخارج الكلام:

" وهو اصطلح يطلقه الجاحظ في اتّجاهين أحدهما يقترن بمعنى تقطيع الحروف والكلمات والتلفظّ بها حسب أصول النطق الخاصة بلغة من اللغات، أو بشعب من الشعوب، وثانيهما يذهب فيه إلى الدّلالة على اكتمال طريقة الأداء أو على الشكل الأسلوبي الملائم"[3].

في الاتجاه الأول يقول" إنّ نجد الحاكية من الناس، يحكي ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم، لا يغادر من ذلك شيئا، وكذلك تكون حكايته للخرساني والأهوازي والزنجي والسّندي والأحباش وغير ذلك"[3].

[1] محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ص115.
[2] الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص145.
[3] ميشال عاصي، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ ،ص6
[3]الجاحظ، البيان والتبيين،ج1،ص69

أما في الاتجاه الثاني فنقع عنده على هذا القول" قال سعيد بن عثمان رحمه الله لطويس المغني: أيّنا أسنُ أنا أم أنت يا طاووس قال بأبي أنت وأمي لقد شهدتُ زفاف أمك المباركة على أبيك الطيّب، فانظر إلى حذقه وإلى معرفته بمخارج الكلام، كيف لم يقل زفاف أمك الطيبة على أبيك المبارك، وهكذا كان وجه الكلام فقلب المعنى"[1]

لا شك أن مصطلح مخارج الكلام ،لا يدل دلالة واضحة على إلمام المتكلم أو الحكاية من الناس كما صرّح الجاحظ بمخارج لهجة من اللهجات أو لغة من اللغات، غير أن معنى المصطلح في القول الثاني ينصرف إلى الكيفية التي يشكل بها المتكلم كلامه.

4) مخارج الأشعار:

إضافة إلى المخارج السابقة أشار الجاحظ إلى مصطلح مخارج الأشعار، وقد جاء في كتاب البيان والتبيين قوله" وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور، وهو منثور غير مقفى على مخارج الأشعار والأسجاع"[2]

5) مخارج الأصوات:

" وهناك ما يسميه مخارج الأصوات، وهي تعني أصوات مخارج الحروف لا حيث تنوع لفظها من حرف إلى آخر، بل من حيث النبر ارتفاعا وخفوتا، بحسب الأصول المألوفة والمقبولة، وهي هنا عرضة للشّذوذ والمفارقة"[3].والشاهد على ذلك قوله "ولطول اعتيادكم

[1] المصدر نفسه، ص263-264.
[2] المصدر نفسه ،ص383.
[3] ميشال عاصي، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ ، ص66

لمخاطبة الإبل جفا كلامكم، وغلّطت مخارج أصواتكم، حتى كأنكم إذا كلمتم الجلساء، إنما تخاطبون الصّمان"[1].

استنادا على هذا القول، يبدو أنّ الجاحظ أولى اهتماما كبيرا للصوت خاصة وأنّ الصوت، يعتبر إحدى الدعائم الأساسية لعملية النطق، وقد صرّح الجاحظ على ذلك بقوله" والصوت هو آلة اللفظ، و الجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان، لفظا، و لا كلاما موزونا، ولا منثورا إلاّ بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلّا بالتقطيع والتأليف"[2]، ولهذا الصوت على حدّ تعبير الجاحظ صفات أبرزها الجهارة والدقة.

المطلب الثاني: مصطلحات صفات الأصوات

-الجهارة والدقة:

إذ يقول الجاحظ في هاتين الصفتين " ولا نتخذه إلاّ جهير الصوت، جّيد الحلق وأنت دقيق الصوت رديء الحلق"[3].

ربما المقصود من مصطلح "الجهارة" علوّ الصوت وضوحه أما "الدقة قد تدلّ على الصوت الضعيف الخافت والمهموس إن صحّ التعبير، ولا شكّ أنّ الجاحظ يفضّل صاحب الصوت المرتفع المجهور، لأنه استثنى في قوله" ولا نتخذ إلاّ جهير الصوت""والدليل على أنّه يذمّ الصوت الضعيف عبارة " رديء الحلق" وما يوضح لنا هذا لقوله" وكانوا يمدحون

[1] الجاحظ، البيان والتبيين،ج3 ص14.
[2] المصدر نفسه، ج1،ص79.
[3] المصدر السابق، ص125.

الجهير الصوت، ويذمون الضئيل الصوت، ولذلك تشادقوا في الكلام، ومدحوا سعة الفم وذموا صغر الفم"[1].

فالجاحظ حدد مفهوم الجهر والدقة، بشكل دقيق، وهو نفس ما توصل إليه باقي علماء الصوتيات، إذ يبدو أنّ هذان المصطلحان لم يتغيّر معناهما تماما.

المبحث الثاني: المصطلحات الدالة على عيوب النطق:

المطلب الأول: العيوب البيانية:

لعلّ اهتمام الجاحظ بقضية البيان العربي دفعه إلى استبعاد كلّ الشوائب التي تُخِلُّ بفصاحة وطلاقة الخطيب، حيث نجده يذكر بعض العيوب البيانية مثل: العيّ والحصر والبُهر، وهذا ما سنتناوله في هذا المبحث، لنتحدث فيما بعد عن العيوب اللفظية.

البكء:

مصطلح يطلق على الخطباء الذين يعجزون عن النهوض بأعباء الخطابة ، كما تطلق كلمة " المفحم" وصفا للشاعر الذي يصاب بالعجز أو الانقطاع"[2]، وقد عبر الجاحظ عن هذا المصطلح بقوله" كما أن سبيل المفحم عند الشعراء، و البكىء عند الخطباء سبيل المسهب الثرثار والخطل المكثار"[3].

[1] المصدر نفسه ، ص120-121.
[2] ميشال عاصي ،مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، ،ص13.
[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص13.

ومن خلال ما أورده الجاحظ للنبي صلى الله عليه وسلم" إنّا مَعشرَ الأنبياءِ بِكاءُ" [1]، يتضح أن مصطلح " البكء" يُطلق على قلة الكلام إلّا أنّ دلالته تتأرجح بين حسن التصرف بألفاظ اللغة ومعانيها من جهة، وبين ذلك النقص في آلة التعبير من جهة أخرى، وبالتالي في هذه الحالة يكون عيب بياني، لأنه سيؤدي حتما إلى الإخلال بفصاحة وطلاقة المتكلم

البهر

هو أحدُ العيوب البيانية التي تلازم الخطيب عند عجزه عن شرح وتفصيل المعاني"[2]. ويبيّن الجاحظ ذلك من خلال روايته لبيت شعري عن أحد الشعراء

ملي ببُهرو التفات وسَعْلَةٍ ومَسْحَة عَثْنونِ وفتلِ أصابعِ[3]

إذن مصطلح البهر يطلق على كل من ينتابه الخجل ويعتريه الاضطراب عند مواجهة جمع محتشد[4].

العي والحصر:

لقد أردك الجاحظ هذان العيبان البيانيان وتعرض لهما في مقدمة كتابه بقوله: "اللهم إناّ نعوذُ بكَ من فتنة القول ، كما نعوذُ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التكلّف، لِما نحسن كما

[1]المصدر نفسه، ص114.
[2]ينظر ميشال عاصي ، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ ، 57.
[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص4.
[4]ينظر ميشال عاصي، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ،ص59.

نعود بك من العيّ والحصر، وقديما ما تعوذوا بالله من شرّهما، وتضرّعوا إلى الله في السلامة منهما"[1]، و لعلّ ما يوضح لنا أكثر هذان المصطلحان قوله" إنّما وقع النهي على كل شيء جاوز المقدار، ووقع اسم العي على كل شيء قصر من المقدار، فالعيّ مذموم والخطل مذموم"[2]

استنادا على ما سبق نستنتج أنّ هذه العيوب التي ذكرها الجاحظ ليست عيوبا من عيوب النطق بالحروف والكلمات، بل هي عيوب بيانية تناقض البلاغة، والآن سننتقل إلى المصطلحات الخاصة بالعيوب اللّفظية.

المطلب الثاني: العيوب اللفظية

لقد اقترب أبو عثمان الجاحظ في بحثه في الأمراض اللّغوية وطبيعتها في البحوث اللسانية المعاصرة القائمة على المعايير اللسانية البيولوجية، ولا سيما المعايير اللسانية النفسية، أو ما يعبّر عنه بالمصطلح اللساني اللسانيات البيولوجيةbiological linguistics [3].

ومن بين الأمراض اللغوية التي تعرض لها الجاحظ بالدقة والتفصيل التعتعة، التمتمة، الحبسة، اللثغة، التأتأة، العقلة، العقدة، ...

التتعتع

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1ص3.
[2]المصدر نفسه، ص202.
[3] مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات ، ص550
[2]. الجاحظ، البيان والتبيين ج1، ص 37

يورد الجاحظ للأصمعي قوله في التتعتع فيقول"إذا تتعتع اللّسان في التاء فهو تمتام، وإذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء"[1].

بناء على هذا القول، فإن مصطلح " التتعتع" يدلّ على التكرار في أحد الحروف، فإذا كان التكرار على مستوى حرف التّاء، فيكون المتكلم تمتام، وإذا ردّد في حرف الفاء، فهو فأفاء، وقد أشار ابن فارس إلى هذا المصطلح بقوله" يقال تتعتع الرّجل إذا تبلّد في كلامه"[2]، غير أن هذا المصطلح اتّسع مدلوله ليشمل كل ما يعيق اللسان عن النطق السليم بإطلاق كالتعثر الناجم عن تنافر الحروف أو عن تنافر الكلمات"[3] يقول الجاحظ" ومن ألفاظ العرب ألفاظ تنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلّا ببعض الاستكراه فمن ذاك تقول الشاعر :

و قبر حربٍ بمكان قفرٍ و ليس قُربَ قبر حربُ قبرِ

ولمّا رأى من لا علم له أنّ أحدا لا يستطيع ان ينشد هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد، فلا يتتعتع،ولا يتلجلج"[4].

يتبيّن من هذا القول أن التتعتع هو مرادف التلجلج، وهو يجمع كل العيوب النطقية، أيّا كان شكلها.

التمتمة:

---

[1] الخليل،العين، ج8،ص111.

[3] ابن فارس ،مقاييس اللغة ، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، مج1، ص338.

[4] ميشال عاصي ، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ ، ص67.

[4] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص65.

مصطلح قديم لم يذكره الجاحظ فحسب، وإنّما تطرق إليه العديد من العلماء القدامى، ومنهم الخليل، إذ يقول" التمتمة في الكلام ألا يبين اللسان يخطئ موضع الحرف، فيرج إلى لفظ كأنه التاء والميم"[1]

وقد فسّر الدكتور حنفي بن عيسى على أنّ التمتمة عند الجاحظ هي ضرب من ضروب التأتأة Begaiement.[2]

والمقصود بالتأتأة هنا هو اضطراب يؤثر على عملية السير العادي لمجرى وسيولة الكلام، فيصبح كلام المصاب يتميز بتوقفات وتكرارات[3].

الحبسة Alphasia

هي من الأمراض اللغوية التي اهتم بها علم النفس عامة، وعلم النفس اللّغوي خاصة وعلى حدّ تعبير الجاحظ" يقال في لسانه حبسه، إذا كان الكلام يثقل عليه، ولم يبلغ حدّ الفأفأة و التمتام"[4].

[1]الخليل،العين، ج8،ص111.

[2]حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1971، ص304.

[3]محمد حولة،الأرطفونيا، علم اضطرابات اللغة والكلام والصوت، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع،.ط2008،2ص42

[4] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1،ص39.

و لربما اقترب الجاحظ بمفهومه هذا من العالم" هيد" حين تحدث على أنواع الحُبسات والحبسة التي ذكرها الجاحظ ترادف إلى حدٍ ما الحبسة اللفظية عند هيد الذي عبّر عنها بقوله" حيث يجد المريض نفسه عاجزا عن استحضار الكلمات قولا وكتابة"[1] ومن المصطلحات التي يقترب مفهومها من الحبسة، العقدة، لكن إذا كان سبب هذه الأخيرة ليس بتأثير لغة أعجمية، وإنما تكون ناجمة عن اختلال آلة النطق.

العقدة:

هي الآفة التي إذا أصيب بها اللسان جعلت النطق بالكلام عسيرا إلى حدّ المستحيل وتحوّل معها الكلام، إلى مقاطع صوتية مبهمة، تكاد لا تفصح عن حاجته، ولا تشير إلى معنى، وزالت عنه ميزات الفصاحة وسمات البيان ولربما استعمل الجاحظ لفظة التعقيد مرادفه للعقدة"[2]

ولعل ما يبيّن لنا ذلك حديثه عن العقدة التي كانت في لسان موسى عليه السّلام، إذ يقول ومن الدليل على أنّ لله تعالى حلّ تلك العقدة وأطلق ذلك التعقيد قوله﴿"ربِّ اشرَحْ لي صَدْرِي ويَسِّر لِي أمري، واحْلُلْ عقدةً من لساني يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[3].

العقلة:

[1] حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس الغوي، ص301.

[2] ميشال عاصي مفاهيم الجمالية النقد في أدب الجاحظ، ص69.

[3]سورة طه، الآية 26، رواية و رش عن الإمام نافع.

مصطلح العقلة من بين المصطلحات التي استعملها الجاحظ للدلالة على إحدى الأمراض اللغوية، إلا أننا إذا محصنا قوله، " يقال في لسانه عقلة إذا تعقّل عليه الكلام"[1] يتبين لنا أن مصطلح العقلة قريب جدّا من مصطلح العقدة غير أنّ د. ميشال عاصي يرى بأن العقلة هو اضطراب النطق عامة من غير تخصيصه بسبب معين يعني هذا أنّه سيصبح مرادفا للَّجلجَلة[2]".

الفأفأة:

لاشك أنّ الأقوال التي وردت على لسان الجاحظ توحي بأنّ الفأفأة تدل على ترداد وتكرار لفظ الفاء وقد عّبر الجاحظ عن ذلك" فإذا ما حكى كلام الفأفأة، فكأنّما قد جُمعت كل طرفة في كل فأفاء في الأرض في لسان واحد[3]".

اللثغة

ورد في لسان العرب في مادة لثغ: اللثغة أن تعدل الحرف إلى حرف غيره والألثغ الذي لا يستطيع أن يتكلم بالراء، وقيل هو الذي يجعل الراء في طرف لسانه و يجعل الصاد فاءً، وقيل هو الذي يتحول لسانه عن السين إلى الثاء..." "[1]

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص39.
[3] ميشال عاصي،مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، ص70.
[4] الجاحظ، البيان والتبيين ،ج1، ص169.

" أما الجاحظ فقد عالج هذا المرض اللغوي معالجة علمية دقيقة، والأمثلة في هذا كثيرة، خصص لها الجاحظ بابا سمّاه" ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة" وهي جديرة بان تكون مادة للصوتيات، لأن إدراك الجاحظ فيها لمفهوم الوظيفة الحرفيةPhonologie لا مجال للشكّ فيه"[2] فالحروف التي تدخلها اللثغة في نظر الجاحظ هي أربعة أحرف" القاف والسين واللام والراء"[3]

1)" اللثغة بالسين تلفظ ثاء كقولهم" لأبي يكسوم أبي يكثوم وكما يقولون بثرة وبثم الله، إذا أرادو بسرة وبسم الله.

2) اللثغة التي تعرض للقاف: فغن صاحبها يجعل القاف طاء، فإذا أراد أن يقول قلت له قال طلت له، وإذا أراد ان يقول قال لي قال طال لي"[4]

3) اللثغة في اللام: فإن من أهلها من يجعل اللام ياءً يقول بدل إِعْتَلَلْتُ /إِعْتَيَيْت وبدل حمل/ حمى وآخرون يجعلون الآم كافا، عمر أبي هلال فإنه كان إذا أراد أن يقول ما العلة في ذلك، قال مَكْعَكَة في هذا"[5].

4)" وأما اللثغة التي تقع في الراء فإنّ عددها يضعف على عدد لثغة الآم لأن الذي يعرض لها أربعة فمنهم:

---

1 ابن منظور ، لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير، دار المعارف، ط1، 1919، ص3995-3996.

2 محمد الصغير بناني ،النذظريات اللسانية والبلاغية والأدبية، ص126.

3 الجاحظ، البيان والتبيين ، ج1،ص34.

4المصدر نفسه، ص34.

5المصدر السابق، ص 34-35

2 المصدر نفسه ،ص35

إذا أراد أن يقول عمرو قال عمغ فيجعل الراء غينا، ومنهم إذا أراد أن يقول عمرو قال: عمذ فيجعل الراء ذالا"[2] ولنوضح أكثر هذا المرض اللغوي نمثل له بمخطط على الشكل التالي:

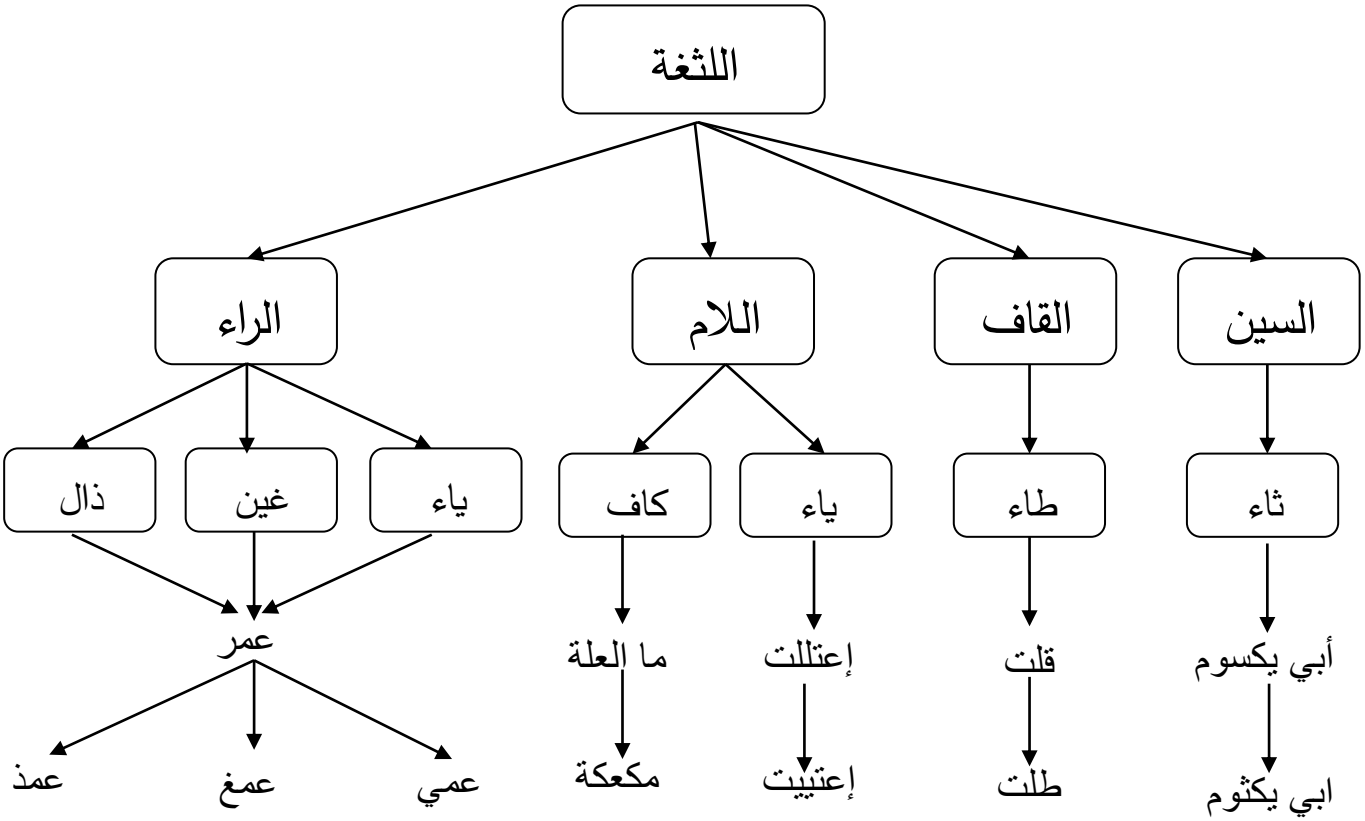

إضافة إلى هذا التحليلِ , فقد فسر الجاحظ اللثغة اجتماعيا

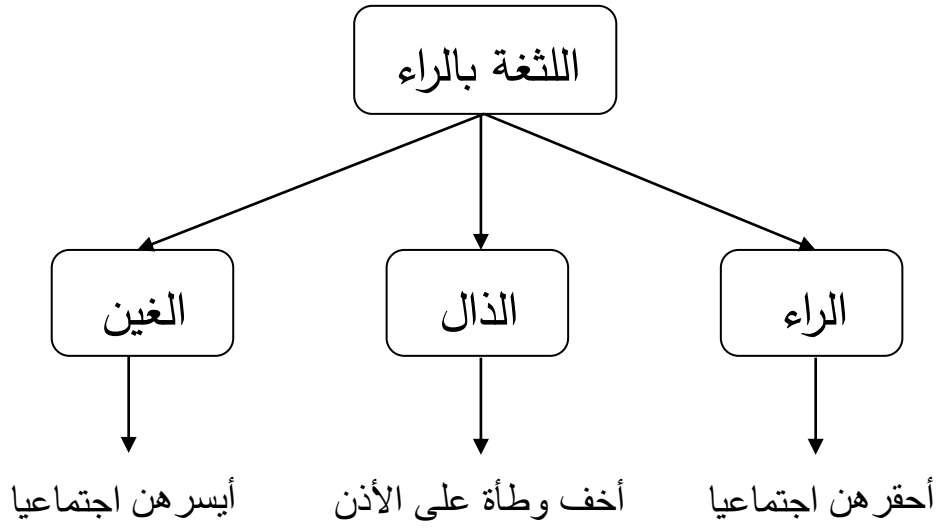

بناءا على ما تقدم، يمكن القول أنّ هذه الأنواع من الأمراض الكلامية التي تعرض لها الجاحظ، تدرج ضمن الأمراض اللغوية الحديثة التي تطرق إليها علماء اللغة المحدثين "غير أن الجاحظ يستطرد في مثل هذه البحوث فتراه يتحدث أحيانا عن الأمراض اللغوية المتعلقة بالبحث اللساني النفسي، ثم يتحدث في أحايين أخرى عن الاختلافات اللهجية للغة العربية بين الأعاجم، تلك الاختلافات المتعلقة بالبحث اللساني"[1]

من هذا المنطلق، سنعرض للمصطلحات التي ذكرها الجاحظ في البيان والتبيين، وهي تلك المصطلحات المتعلقة بالعيوب النطقية، ولكن هذه العيوب ليست ناتجة عن اختلال آلة التعبير، وإنّما هي ناتجة عن تأثير اللغات الأعجمية واللهجات العربية.

الحكلة:

وهو" مصطلح لساني يفسره الجاحظ على أنّه نقصان في آلة النطق وعجز الفظ، حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال"[2]وفي كتاب الحيوان يضيف الجاحظ" يقال في لسانه حبسة، إذا كان في لسانه ثقل يمنعه من البيان، فإذا كان الثقل الذي في لسانه من قبل العجمية قيل في لسانه حكلة"[3] فالحكلة في نظر الجاحظ ناتجة عن تأثير لغة أعجمية على المتكلم حتى أنّ الكلام يثقل عليه.

[1]مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات،ص55.

[2]الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص40.

[3] الجاحظ ،الحيوان ، ج2، ص10.

الرطانة:

يورد الجاحظ عن أبي الذيّال شويس قوله قال أبو الذيال شويس" أنا والله العربي لا، ولا أحسن الرطانة" فمصطلح الرطانة على حدّ تعبير د.ميشال عاصي يدل على ما يصيب النطق العربي.من إنحراف مخارج الحروف، واختلال أصواتها بتأثير لهجات أعجمية غريبة عن اللغة العربية[1]".

إذن لا شك أن الرطانة عند الجاحظ هو عيب في النطق ن سببه دخول لغة دخيلة على لسان عربي

اللُّكنة

يستخدم الجاحظ هذا المصطلح ، للدلالة على نطق العرب أو الأعاجم للغة العربية الفصحى، وخاصة على المستوى الفنولوجي وهي تتنوّع بتنوع الإقليم، فهناك لكنة رومية وأخرى حبشية"[2].

وفي هذا يقول الجاحظ" وصهيب بن سنان يرتضح لكنة رومية، وعبيد الله بن زياد يرتضح لكنة فارسية"[3].

ولعلّ ما يوضح لنا اللكنة عند الجاحظ قوله" ويقال في لسانه لكنة لذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأولى"[4]

[1]ميشال عاصي، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، ص75.

[2] حلمي خليل ،اللسانيات التطبيقية، ص188.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1ص72.

[4]المصدر نفسه، ص40.

" إنّ الجاحظ من خلال عرضه لأعراض اللكنة تنبه إلى اللغة الطبيعية التي ينشأ عليها الفرد، فتصبح ملكة في نفسه على حد تعبير ابن خلدون، وربما تعلم لغة أجنبية أخرى موازية للغته، فيكون سببا في تسرّب اللكنة إلى لسانه، ولعلّ هذا ما توصي به اللسانيات التطبيقية، وحقل تعليمية اللغات، على أنّ تعلم اللغة الأجنبية بالنسبة للطفل، يجب أن لا يكون في السنوات الأولى من تمدرسه حفاظا على البيان العربي[1]" فالأجانب الذين يتكلمون العربية والذين يمزجون بين لكنة لغتهم الأم، وبين لكنة عربية، فمهما بالغوا في تعلّمهم العربية واختيار الألفاظ الفاخرة والمعاني الشريفة، ومهما أخذوا أنفسهم بالدقة ورعاية الأحكام الإعرابية في اللغة، فإن التنوعات اللغوية الباطنة لا تلبث أن تكشف عنهم ذلك القناع الذي يصطنعونه، وتنمّ عن أصولهم"[2].

ومن هنا، يمكن القول بأن المتكلّم بإحدى اللغات الأجنبية مهما كلّف نفسه عناء التكلم بهذه اللغة، فإنه لا يتقنها لأنّ لأصوات اللغة العربية ميزات وخصائص، وهذا ما أولاه الجاحظ اهتماما كبيرا" فالجيم لاتقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين، بتقديم ولا تأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير، وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة، ويكون لفظه متخيّرا فاخرا، ومعناه شريفا كريما، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه و مخارج حروفه أنه نبطيّ..."[3]

[1] عيسى حميداني ،ظاهرة الأمراض الغوية وعلاقتها بعلم اللسان الأنتروبولوجي دكتراه –2010-2011.
[2] مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات ، ص549.
[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص69.

وقد أيّد هذا الرأي د رمضان عبد التواب حين قال" وكلك النبطيّ القح خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاط النبط، لأن النبطيّ القح يجعل الزاي سينا، ويجعل العين همزة، فإذا أراد أن يقول شمعل قال شمئل"[1] و قد أورد مازن الوعر هذه التبادلات الصوتية للغة العربية عند الأعاجم في المخطط التالي:

1)ج ← ز جمل ← زمل(السندي)

2)ش ← س ّ شر ← سر(السندي والرومي)

3) ز ← س زورق ← سورق (النبطي)

4)ح ← ه حمار ← همار(الرومي)

5) ع ← ناعمة ← نائمة(الرومي والنبطي) [2]

ومّما سبق ذكره نستخلص أنّ الجاحظ استطاع أن يلامس هذا المصطلح من جميع أبعاده، وهذا إن دلّ على شيء، إنّما يدل على فطنته وذكائه، ونظرته الثاقبة، إلى الأمراض اللّغوية

اللحن:

من المصطلحات التي توقف عندها الجاحظ" وهو ينصرف عنه كمصطلح لغوي linguistic term للدلالة على الخروج على أوضاع العربية البدوية، أو عربية العرب

[1] رمضان عبد التواب ،التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ،مكتبة الحانجي القاهرة، ط1997،3، ص124.ر
[2] مازن الوعر،قضايا أساسية في علم اللسانيات ،ص554.

الخلص سواء في الصوت أو الصرف أو النحو أو الدلالة [1]إضافة إلى هذه المصطلحات ذكر الجاحظ مجموعة من العيوب النطقية عِلّتها تصنُع الخطباء في كلامهم، ومن هذه المصطلحات التشدّق، التفخيم، التقعيب، التمطيط.

التشدق:

يقول الجاحظ في هذا المصطلح" والأعرابي المتشادق، وهو الذي يصنع بفكيه وبشدقيه، مالا يستجيزه أهل الأدب من خطباء *أهل المدر فمن تكّلف ذلك منكم، فهو أعيب والذّم له ألزم"[2].

ربما المقصود بمصطلح "التشدق" هو طريقه في الكلام مذمومة والتشادق يعتبر من أهم عيوب النطق الخطابي كالتقعير والتقعيب، والتمطيط ويتضاعف كرهه إذا صاحبته عيوب أخرى لا سيما اللحن[3].

وقد صرح الجاحظ بذلك " ثم اعلم أنّ أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتقعيب والتشديق والتمطيط والجهورة والتفخيم"[4].

التفخيم

[1] خليل حلمي ،اللسانيات التطبيقية، ص174.

*المدن والقرى لأنّ بنيانها غالباً من المدر أي الطين

[2] الجاحظ،البيان التبين، ج1، ص271.

[3]ميشال عاصي ،مفاهيم الجمالية والنقد، في أدب الجاحظ، ص81.

[4] الجاحظ، البيان والتبيين،ج 1، ص186.

قد يكون المقصود بمصطلح التفخيم عند الجاحظ تضخيماً وتكلفاً في النطق، لكن هذا العيب النطقي، يكون أشد استكراها إذا صاحبه اللّحن"[1].

التفهيق:

"طريقة في النطق تقوم على التفخيم، وتجمع إل هذا العيب عيبا آخر هو الثرثرة والإسهاب"[2]، ويتضح هذا المصطلح من قول النبي صلى الله عليه وسلم" أبغضكم إلي الثرثارون المُتَفَيْهِقُون"[3].

التقعيب:

يقوم هذا العيب على قاعدة التشديق، إلّا أنّه يتميّز باستدارة الفم والشفاه عند النطق"[4].فهو طريقة في الكلام مذمومة.

التمطيط:

غالبا ما يقترن مصطلح التمطيط مع التشديق" إلا أن التمطيط على الأرجح هو التصنع في النطق، لجهة المد في النبر وتنغيم الحروف والكلمات"[5].

[1]ميشال عاصي ،مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، ص82.
[2]المرجع نفسه، ص82.
[3] الجاحظ، البيان والتبيين ،ج1، ص13.
[4]ميشال عاصي ، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، ص82.
[5]المرجع نفسه، ص86.

ولتوضيح و اختصار المصطلحات المذكورة سابقا، نمثل لها بالمخطط التالي:

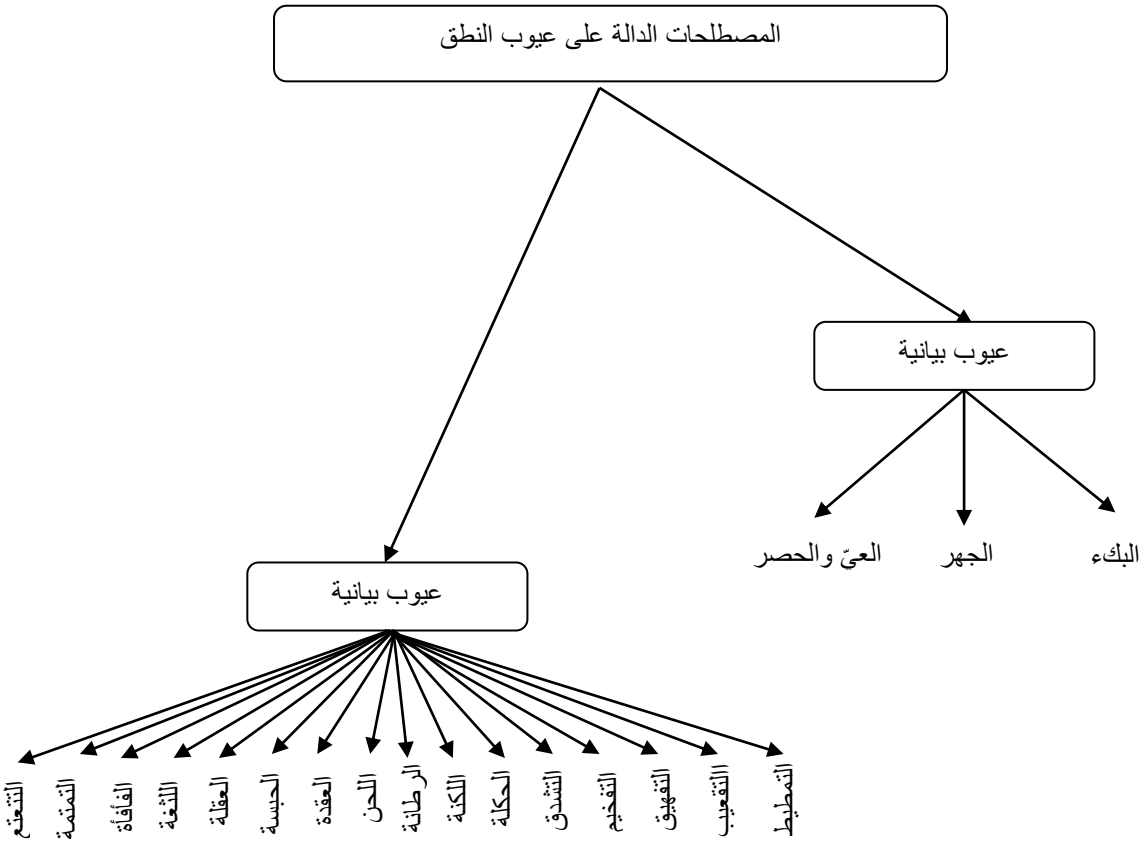

وهاهنا جدول يبرز أهم مصطلحات عيوب النطق مع ذكر الأسباب الوجيهة والمسؤولة عن حدوثها عن حدوثها.

مصطلحات عيوب النطق				
عيوب النطق	سببها			
	نقص الفصاحة	مؤثرات لغوية أجنبية	إختلال الجهاز الصوتي	أسلوبي خطابي
البكء	X			
البهر	X			
العيّ والحصر	X			
التتعتع			X	
التمتمة			X	
الحبسة			X	
العقدة			X	
العقلة			X	
اللثغة			X	
الحكلة		X		
الرطانة		X		
اللّكنة		X		
اللحن		X		
التشدق		X		X
التفخيم				X
التفهيق				X
التفغيب				X
التمطيط				X

ومن خلال ما سبق، يمكن القول، أن الجاحظ قدّم إسهاما ناضجا وفعّالا في مجال الدراسات اللّسانية عامة والمجال الصوتي خاصة، وهذا ما أثبتته المنظومة المفهومية للمصطلحات الصوتية التي وظفها في متن كتابه" البيان والتبيين"، والتي تميّزت بالدقة وعمق النظر، ومن بين المصطلحات التي تناولها الجاحظ بشكل مركز ومفصل مصطلح الصوت ومصطلح المخارج الذي كانت له فيه وجهة نظر خاصة، انفرد بها عن باقي علماء الصوتيات، أما صفات الأصوت فذكر أبرزها وهي الدقة و الجهارة، وهذه الدراسة يطلق عليها حاليا بالفونتيك، أما الجانب الفونولوجي، فتطرق إليه من خلال معالجته لبعض عيوب النطق مثل اللثغة والتي اقترب فيها من البحث اللّساني الحديث.

خاتمة

من خلال هذه الدراسة تبيّن لنا أنّ الجاحظ، يمثل أحد أعلام الفكر اللغوي العربي الأصيل، ويتّضح ذلك جليّا في كتابه البيان والتبيين، الذي مثّل موسوعة عربية جمعت معارف لغوية وأدبية وبلاغية استفاد منها كبار العلماء والباحثين على اختلاف مشاربهم الفكرية، أما دراستنا المصطلحية فقد أوقفتنا على مجموعة من النتائج في غاية الأهمية من أهمها:

1) العصر العباسي هو عصر الازدهار الفكري والثقافي، إذ كان له الأثر الفعّال والبالغ في تكون ثقافة الجاحظ العلمية.

2) كتاب البيان والتبيين، هو آخر ما ألف الجاحظ، إذ حمل بين طياته فكرا لغويا وأدبيا يحتاج إلى دراسة معمقة ودقيقة.

3) من خلال البيان والتبيين نستطيع القول بأنّ للجاحظ نظاما فكريا متميّزا، يكشف عن الروح العلمية والموضوعية الدقيقة التي تحلى بها ، فحديثه عن أصناف الدلالة يثبت أن له فضل السبق، إنه يعبّر عن علم السيميائيات بشكل أو بآخر.

4) استطاع الجاحظ بحسه العلمي الفائق أن يدرك مفاهيم لسانية اقترب بها من المصطلحات اللسانية المعاصرة.

5) مصطلح المخارج عند الجاحظ، تميّز بتحليل فريد من نوعه، ذلك لأنّ الجاحظ، درس أنواع المخارج وخصائصها، ممّا ميّزه عن باقي علماء الصّوتيات.

6) المصطلحات اللسانية التي وظفها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين وخاصة الصوتية منها، اتّصفت بنظر ثاقب، وحس مرهف، وهي تشكّل إسهاما ناضجا وثمينا في دراسة علمية النطق اللغوي .

7) فسّر الجاحظ وأفاض في عيوب النطق وخاصة اللثغة، مفسّرا إياها من الناحية النطقية والاجتماعية.

وفي الأخير نأمل أن نكون قد وفقنا إلى حدّ ما في بحثنا هذا الذي أردنا من خلاله إثبات أنّ التراث اللغوي العربي الإسلامي، يحمل كنوزا، تكاد تضاهي ما أنتجه الفكر اللّساني الغربي، فقط تحتاج إلى من يهتم بها، ويضعها في مكانتها العلمية، حتى يتمكن الباحث من الربط بين هذا التراث الفكري الأصيل، وبين المناهج العربية الحديثة، وكتاب البيان والتبيين جزء من هذا التراث والجاحظ أحد صُنّاعه.

وهكذا يمكننا القول ودون مبالغة بأن الجاحظ يعتبر رائد من رواد الدرس اللّغوي، وواحد من بين العلماء اللامعين القدامى الذي اتخذ علماء اللغة المحدثين اجتهاداته العلمية كأرضية انطلاقة متينة للعبور من جسر الفكر اللّغوي القديم وصولا إلى الفكر اللساني الحديث.

وهذه هي أهم الخلاصات والنتائج التي أثرنا رسمها في خاتمة هذا البحث المتواضع والذي يبقى عبارة عن تساؤلات طموحة، ولا ندعي اكتمال ما قمنا به في هذا البحث، فما ورد فيه من أفكار سبقى عرضة للنقد والتحليل، ولكلّ شيء إذا ما تمّ نقصان

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

سورة طه، الآية 25-27.

المصادر:

1) إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية مطبعة نهضة مصر.

2)ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الكبر مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت، ط3 1927، م1

3) ابن خلكان وفيات العيان وانباء أبناء الزمان ج3، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت.

4) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر بلات م1.

5) ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل ، بيروت،م1.

6) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، تحقيق عمر فاروق الطبّاع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993.

7) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، دار المعارف، 1119.

8)ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا تحدد.

9) ابن الرشيق القيرواني، كتاب العمدة في نقد الشعر، تحقيق نايف خاطوم، دار صادر، بيروت، ط1، 2003.

10) الجاحظ، البخلاء، تحقيق وشرح محمد التونجي ط1 بيروت دار الجيل 1993

11)الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط3، 1969، ج1.

12)الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الانجلو، القاهرة، ط7ن 1998،ج1.

13) الجرجاني الشريف التعريفات، حققه إبراهيم الأنباري، دار الرّيان، للتراث دط، دس.

15) الحموي ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق عمر فاروق الطبّاع، مؤسسة المعارف للطبعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1ن ج16.

16) الخليل بن أحمد الفراهدي،العين، تحقيق مهدي المخزومي، د. إبراهيم السمرائي، ج8.

17) سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، 1966.

المراجع:

1) أحمد حساني، مباحث في اللسانيات مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيبي، ديوان المطبوعات الجمعية،ط6، 1999.

2) جورجي زيدان، تاريخ اللغة العربية، منشورات دار مكتة الحياة، بيروتن لبنان، 1983.

3) حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النس اللغوي،الشركة الوطنية للنشر والوزيع، ط1، 1971.

4) خليل حلمي، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعارف لجامعية.

5) خليل حلمي، مقدمة لدراسة اللغة، دار المعرفة الجامعية، 2004.

6) رمضان عبدالتواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997.

7) طه الحاجري، الجاحظ،حياهوآثاره، دار المعارف مصر، ط2 1119.

8)عبد السّلام المسّدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية، للكتاب ،تونس، 1984.

9)عبد السّلام المسّدي، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ،وابن خلدون، الشركة التونسية للتوزيع، 1984.

10) عبد السّلام المسّدي ن التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية، للكتابط1، 1981.

11) عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، فقه اللغة العربية، دار أسامة للنشر و التوزيع 2009.

12) علي بوملح المناحي الفلسفية عند الجاحظ، دار الطبيعة بيروت، للطباعة والنشر.

13) عمّار ساسي،المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى آداة االصناعة، جامعة سعد حلب عالم الكتب الحديث، للنشر، ط1، 2009.

14) الفاخوري حنا، الموجز في الأدب العربي ، دار الجيل، بيروت، ط3.

15) فوزي السيّد بن عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، في البيان والتبين، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، 2005.

16) كاظم حطيط،دراسات في الأدب العربي البيئة العباسية، الجاحظ– ابن الرومي – المتنبي ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1977.

17) كمال بشر، علم الأصوات ، دار غريب للطباعة.

18) مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات، دار طلاس، ط1ن 1998.

19) محمد بركات حمدي أبو علي الأصول الأدبية في كتاب البيان والتبيين، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان،1989.

20)محمد حولة، الأرطفونيا، علم اضطرابات اللغة والكلام والصوت، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2008.

21) محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية من خلال البيان والتبيين ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983.

22) محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي، وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، دط، 2001م.

23) محمد الضبي وضع المصطلحات، المؤسسة العمومية الإقتصادية لترقية الحديد والصلب بروسيدا.

24) محمد علي زكي الصباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين، المكتبة العصرية ، صدا بيروت، ط1، 1998م.

25) ميشال عاصي، مفايم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، مؤسسة نوفل، بيروت لبنان.

26) نور الهدى لوشن، عم الدلالة، دراسة وتطبيق الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث.

27) هشام خالدي، صناعة المصطلح الصوتي في اللّسان العربي ، دار الكتب العلمية، لبنان ط1، 2012.

المجلات والدوريات والرسائل الجامعية:

1) مجلة كلية الآداب، العدد الأول مدير المجلة، أ.د عكاشة شايف.

2) ظاهرة الأمراض اللغوية وعلاقتها بعلم اللسانيات الأنتروبولوجي، عيسى حميداني، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، 2010-2011م.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ- ب- ج- د.

مدخل: اللسانيون العرب والمصطلح اللساني.

الفصل الأول: الجاحظ في التراث اللساني.

المبحث الأول: الجاحظ ومؤلفه البيان والتبيين.....09

المطلب الأول: الجاحظ ثقافته واتّجاهه الفكري.....09

مولده ونشأته.....09

مذهبه الاعتزالي 10

ثقافته وشيوخه.....11

وفاته وأهم مؤلفاته 14

المطلب الثاني: كتاب البيان والتبيين 16

نبذة عن الكتاب.....16

-دوافع تأليفه.....18

أسلوب الجاحظ فيه.....19

المبحث الثاني: البيان والتبيين من المنظور اللّساني.....19

1 المفهوم العام للبيان.....20

2 المفهوم الخاص للبيان.....25

المبحث الثالث: نظرة المحدثين للمصطلح اللساني الجاحظي.....27

الفصل الثاني: المستوى الصوتي في البيان والتبيين

المبحث الأول: المصطلحات الدالة على المخارج وصفات الأصوات.....34

المطلب الأول: مصطلح المخارج.....34

1. مخارج الحروف.....34

2. مخارج اللّفظ.....37

3. مخارج الكلام.....37

4. مخارج الأشعار.....38

5. مخارج الأصوات.....39

المطلب الثاني: مصطلحات صفات الأصوات.....40

الجهارة والدقة.....40

المبحث الثاني: المصطلحات الدالة على عيوب النّطق.....40

المطلب الأول: العيوب البيانية.....41

البكء.....41

البهر.....41

العي والحص.....42

المطلب الثاني: العيوب اللّفظية.....43

التتعتع.....43

التمتمة.....44

الحبسة.....45

العقدة.....45

العقلة..... 46

الفأفأة.....46

اللّثغة.....47

الحكلة.....50

اللّكنة.....51

اللّحن 53

التشدق.....54

التفخيم.....55

التفهيق.....55

التقعيب.....55

التمطيط.....55

الخاتمة.....60

قائمة المصادر والمراجع.....65

فهرس الموضوعات.....71

الملخص:

يُعدّ كتاب البيان والتّبيين موسوعة ليس في الأدب وحسب بل في اللغة أيضا ذلك لما تضمنه من زاد مصطلحي أصيل يصلح للدّراسة والبحث، فقد تمكّن الجاحظ بحسّه العلمي الفائق أن يدرك مفاهيم لسانية وخصوصا في الجانب الصوتي الذي ارتكز عليه بحثنا، وبهذا يكون قد قدّ ساهم بشكل أو بآخر إسهاما ناضحا وفعالا في الدراسات الصوتية.

الكلمات المفتاحية: المصطلح – الجاحظ – اللسان.

Résumé :

L'ouvrage ' **El Bayane Wa Eltabyine '**de son auteur Eljahidh est considéré à la

fois comme une encyclopédie littéraire et linguistique du fait de sa richesse en termes purs nécessitant étude et recherche .Aljahid ,en usant son esprit scientifique, a découvert des concepts linguistiques ainsi que des textes dans le domaine phonologique sur lesquels se fonde notre étude .Des lors, il a contribué remarquablement et soigneusement dans les études phonologiques.

Mots clés : Terme –phonologie-contribution

Abstract :

Al-Jahiz is best known as the author of « kitab *al-Bayān wa al-tabyin* » *or* « Clarity and Clarification book ». Such great work is considered not only as an encyclopedia in literature but also as the leading Arabic prose of the 9th century as it contains gorgeous style and effective use of language and words that can interestingly be employed as the starting point for more advanced investigations and studies in the field of literature. With his extraordinary scientific sense, Al-Jahiz could easily realize linguistic concepts and texts in the audio side that our current study is grounded on. In one way or another, Jahiz' *al-Bayān wa al-tabyin, a* compendium devoted to language, has effectively and admirably contributed in the field of vocal studies

Keywords :The term - phonologie - tongue.